الصراع

العربي الإسرائيلي

٢٠١٧م

الطبعة الأولى

١٤٣٨هـ - ٢٠١٧م

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسول الله وخاتم انبيائه محمد وعلى آله الطاهرين.

إن طبيعة الصراع مع العدو الحقيقي للإسلام والمسلمين (أهل الكتاب واليهود بالذات) شخصها القرآن الكريم، وحددها ووصفها، وأكد عليها، ووضحها توضيحاً كاملاً، فكل عملهم ينصب في اختراق الامة الاسلامية بشكل عام، وفي ضرب أي تحرك داخل الامة، يسير على نهج القرآن الكريم، على أساس المسؤولية.

فمثلهم مثل الشيطان تماماً، يدركون ان استهداف الامة في دينها، هو السلاح الفتاك والخطير، الذي ركز عليه الشيطان في صراعه مع المسلمين، للنيل من ايمانهم وتضليلهم وافسادهم.

ولهذا تحدث القرآن الكريم عن الشيطان حديثاً واسعاً، يؤكد على طبيعة الصراع معه ويوضحه. ومن ذلك قول الشيطان في الآية الكريمة ﴿**لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ**﴾ (الاعراف: من الآية ١٦). وفي آيات أخرى توعد فيها الشيطان أنه سيسعى أن يضل المسلمين واغوائهم وافسادهم. واليهود هم أولياء الشيطان يعملون عمله فيسهدفوننا في ايماننا ليضلونا عن الطريق المستقيم حقداً وعدواناً.

إنهم يدركون بأن الامة إذا ضربت في دينها واستهدفت في ايمانها سوف ينتهي امرها. وحينها سوف يمكنون أن يعملوا ما يشاؤون، على المستوى العسكري،

وعلى المستوى الأمني بسهولة ويسر واطمئنان، لأن الأمة تكون قد فقدت ايمانها وبالتالي فقدت صلتها بالله وبتأييده ومعونته ونصره.

فابتعاد الأمة عن ايمانها وقيمها، سبَّب لها سخط الله عليها وجلب عليها التسليط، الذي يجلب عليها نعمة كبيرة من الله، ويسلب الله منها كل عوامل القوة، فلن نستطيع أن نعمل شيئاً مقابل ما يعمله اعداؤها فيها. وبسبب حالة التسليط، ينتزع الله من الامة كل مقومات الدفاع، فلا تقوى على أن تعمل شيئاً في الوقت الذي يستطيع اعداء الامة أن يعملوا ما يشاؤون بسهولة ويسر.

أهل الكتاب هم أهل تجربة دينية، يعرفون سنن الله مع عباده، ويعرفون السنن الالهية. فالأمة التي حملها الله مسؤولية إقامة دينه ورسالته إلى خلقه، وفي الوقت نفسه تفرط بمسؤوليتها، وتتخلى عنها، وتقصر في القيام بها، فإن عقاب الله لها يكون أشد من العقاب للأمم الأخرى.

فالعقوبات الإلهية لبني اسرائيل أيام ما كانت فيهم النبوة والكتاب والهدي الإلهي، وأيام ما كانت مسؤولية إقامة الدين موكلة إليهم، كانت بسبب ذنوبهم وتقصيرهم وجرائمهم واغراضهم أشد من عقوبات الأمم الأخرى، التي ليس فيها لا نبوة ولا كتاب، وتعيش حالة الشرك والكفر بشكل خاص. أما أمة بني اسرائيل، التي كان عليها مسؤولية إقامة الدين، فقد عوقبوا بأسوأ العقوبات وذلك بأن مسخ منهم قردة ومسخ منهم خنازير. وسلط الله عليهم تسليطاً كبيراً، ونكبوا نكبتين كبيرتين.

وبالنسبة لواقع المسلمين، فانهم أمة تتحمل مسؤولية إقامة الدين وتجسيد قيم هذا الدين وتطبيقها. لكي يظهر للأمم الأخرى جمال هذا الدين وعظمته، فتنجذب إليه وتقدم شهادة على عظمته.

أن الأمم في الوقت نفسه عندما اكرمها الله بهذه المسؤولية إذا استعانت عليها الأمة ونهضت بها فإنها مسؤولية فيها شرف كبير وعظيم، وتحظى بتأييد عظيم من الله سبحانه وتعالى، ويمكنها من أن تسود على الأمم في الأرض. وعندما تنحرف الأمة فهو كفران للنعمة وعد تقدير لما حباها الله به من نعمة وانعم به عليها من شرف، لأنها لم تقدّر نعم الله عليها، فيكون الغضب الالهي شديداً، ويكون العذاب الالهي والعقوبة الالهية شديدة وذلك أشد من عقوبات الأمم الأخرى.

فالعقوبات الالهية متنوعة ومن أشدها أن يضرب الله عليهم الذلة والمسكنة ﴿ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ﴾ (البقرة من الآية ٦١)، وقد جربها اليهود أنفسهم وإذا ضرب الله الذلة والمسكنة على أمة، فإنها لن تستطيع أن تتحرك بالشكل الفعال والمطلوب، وسيدوسها اعداؤها، ويهيمنون عليها ويتغلبون عليها ويذلونها. واليهود هم أنفسهم يعرفون حق المعرفة بأن من أهم العقوبات الالهية التي يعاقب الله بها الامم التي يحملها الله مسؤولية اقامة دينية، ولم تعمل على إقامته، أن يضرب الله عليهم الذلة والمسكنة. لأنه إذا ضرب الله الذلة والمسكنة على أمة، ستكون غير قادرة على الدفاع نفسها وعن دينها. ومن يقرأ التاريخ فسيعرف مثلاً ما فعلته الجيوش الاسرائيلية في الحرب مع مصر، وفي الحرب مع سوريا، وفي الحرب مع لبنان، وما فعله الاسرائيليون وما يفعلونه من أمور فضيعة في فلسطين حتى اليوم.

فالإسرائيليون يعرفون كيف يضربون هذه الأمة، وذلك أن يستهدفونها في دينها وفي إيمانها وفي قيمتها، وهي أمور تستجلب لها سخط الله سبحانه وتعالى عليها، والتسليط الالهي، ويسبب لها أن يضرب الله عليها الذلة والمسكنة. ويعرف الاسرائيليون كذلك أن العامل الأساسي قوة هذه الأمة، هو التأييد الالهي. لذلك منهم يتجهون إلى العمل على ابعاد الناس عن التأييد الالهي،

ويحولون واقع الناس إلى واقع مختلف. فبدلاً من أن تكون أمة تحظى برعاية من الله وبنصره وبتأييده وبمعونته، تتحول إلى أمة مغضوب عليها ومسخوط عليها من الله ومتعرضة لعقابه الشديد وللتسليط من الله سبحانه وتعالى.

❊ ❊ ❊

الفصل الأول

التشخيص القرآني لأهل الكتاب

التشخيص القرآني لأهل الكتاب

١. من هم أهل الكتاب؟

أهل الكتاب هم اليهود والنصارى، وكان معظم من يواجه الناس انذاك، ويدخلون معهم في صراع، خاصة في فترة المدينة بعدما هاجر الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) إليها، هم يهود، ويقطنون حول المدينة في (خيبر) و (بني قينقاع) و (بني النضير) وفي مناطق أخرى.

فأهل الكتاب اسم يطلق على اليهود والنصارى، أي انهم أهل الكتاب السماوي السابق، وهو التوراة والانجيل، وكانوا على خلاف دائم فيما بينهم. وقد ضرب الله بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة، لكن كلمتهم اجتمعت على المسلمين، بالرغم ما حصل بينهم من عداوة وبغضاء توغز الصدور في هذا العصر، وبالتحديد في الحرب العالمية الأولى وفي الحرب العالمية الثانية، وما حصل لليهود في مختلف مناطق العالم، وكان أشدها ما حدث لهم في المانيا على يد النازية في أيام هتلر. والهدف من اجماع كلمتهم على المسلمين، هو العمل على أن يردوا الأمة الاسلامية بعد ايمانها كافرة ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقاً مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ**﴾ (آل عمران:١٠٠). ومن يقرأ هذه الآية في فترة نزولها وفيما بعد نزولها في القرون الأولى من تاريخ الأمة هذه، يتبادر إلى ذهنه أولئك اليهود الذين كانوا حول المدينة، الذين يعدون بالنسبة ليهود اليوم بدواً اغبياء. أما يهود اليوم، منهم يهود متطورون جداً في مكرهم وخداعهم وتضليلهم، أصبحوا يمتلكون امكانيات اقتصادية واعلامية هائلة. وهذا لا يعني التقليل من خطورة اليهود الذين كانوا بدواً، فإن خطورتهم بلغت أن يضلوا

بالمؤمنين في زمن الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) وهو بين أظهرهم والقرآن يتلى عليهم إلى درجة أن يردوهم بعد ايمانهم كافرين.

٢. كيف نقرأ تاريخ أهل الكتاب

إذا عدنا إلى القرآن الكريم كتاب الله الذي نزله من يعلم السر في السماوات والأرض، نرى فيه أنه عرض كثيراً من أخبار اليهود وعرض فيه كثيراً مما يكشف واقعهم. فالسور (البقرة) و(آل عمران) و (المائدة) و (الاسراء) و (الحشر) وغيرها من السور، مليئة بالحديث عن اليهود، وهم بنو اسرائيل، الذين في تاريخهم عبر ودروس كثيرة ومهمة جداً، ولكن الشيء الذي يؤسف له أننا نأخذ بما عرضه القرآن عن بني اسرائيل جانباً واحداً فقط، هو فهمنا ان هذه الآيات عبارة عن آيات تهاجم هذه الطائفة وتبرزها كطائفة مجرمة لا أقل ولا أكثر.

٣. تنوّع حديث القرآن الكريم عن بني إسرائيل

تحدث القرآن الكريم عن بني اسرائيل حديثاً متنوعاً، يذكر فيه أنه فضَّلهم على العالمين، ويطلب منهم أن يذكروا نعمه التي أنعم بها عليهم، ومن ذلك قوله سبحانه وتعالى ﴿وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ (البقرة: من الآية ٤٧). ويعرض كذلك النعم التي أنعم بها عليهم والرعاية التي منحهم إياها في أيام فرعون ومن بعده، وفي مختلف الأزمنة. ويلعن الكافرين والمتمردين منهم، يلعن الذين لم يستجيبوا له، ولم يلتزموا بكتبه السماوية، التي أنزلها إلى الانبياء منهم، ويدعوهم في الوقت نفسه إلى الايمان برسول الله (صلوات الله عليه)، وأن يكونوا هم أول من يؤمن بالقرآن الكريم، الذي هو مصدِّق لما معهم من الكتب السماوية.

دمج الله في القرآن الكريم بين الحديث عن مساوئهم وبين الحديث عما منحهم من الرعاية الكبيرة، وبين الحديث عما برز في تاريخهم من صفحات مشرقة، دمجه بضرورة أن يستجيبوا لهذا النبي الذي أرسله إلى العالمين جميعاً محمد (صلوات الله عليه)، وقال عنهم: ﴿**وَلا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ**﴾(البقرة: من الآية ٤١)، ولا ينبغي لمتكلم أن يكونوا أول كافرٍ به.

ونحن قد نسيء فهم المسألة، فعندما نقرأ القرآن الكريم، ونراه يتحدث بأنه فضَّل هؤلاء على العالمين، وأنه منحهم من الرعاية الكثير الكثير. ففي صحراء سيناء يوم تاهوا، وأظلهم بالغمام، وأنزل عليهم المنّ والسلوى، وعندما تمردوا، ونتق الجبل، ورفع جبل الطور فوقهم، ثن عاد إلى مكانه ولم ينزل عليهم، ولم يحصل أن استؤصلوا بعذاب كما تستأصل الأمم الأخرى.

عندما نأتي إلى قضية اليهود في القرآن الكريم، ونأخذ منها سوء اليهود فقط، سنسيئ فهم القضية، ثم نفقد كثيراً من الدروس في ما عرضه الله من حديث عن بني اسرائيل. وأول سؤال: أنت تريد أن تقدم لنا هؤلاء على أنهم شر البرية، وأنهم رجس، وأنهم أصل سيء ودنيء، وأنت في الوقت نفسه فضلتهم على العالمين، وأنك منحتهم الكثير من الرعاية طول تاريخهم، فكيف تفضِّل وتمنح من هم رجس، ومن هم خبثاء في أصلهم؟ فكيف ذلك؟

إن الله سبحانه وتعالى فضل فعلاً بني اسرائيل، واصطفى آل ابراهيم جميعاً على العالمين ﴿**ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ**﴾ (آل عمران: من الآية ٣٤)، وفي نفس التفضيل دروس، ومنها أن هؤلاء الذين فضلهم على العالمين، إذا لم يلتزموا، وإذا لم يتمسكوا، وإذا لم يستجيبوا، سيلعنهم وسيمسخ منهم قردة وخنازير، وسيلعنهم

على ألسن انبيائه. وهذا ما حصل فعلاً بالنسبة لمن كفر وتمرد وعاند منهم.. إلى أخر ما قال عنهم.

٤. تعامل أهل الكتاب مع ما جاء به أنبياؤهم

ضرب الله أمثلة تبين كيف تعامل بنو اسرائيل مع ما انزل اليهم بواسطة انبيائهم، وذلك في قوله سبحانه وتعالى ﴿**وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ * وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ**﴾ (البقرة: ٩٢-٩٣).ويلاحظ في ذكر الطور سابقاً عندما رفعه فوقهم، فانهم كانوا هناك مازالوا في مرحلة تبدو مصبوغة بجهالة، وكان هناك قابلية أحياناً إذا جاء شيء يحاولون أن يتراجعون، لكن هنا أصبحوا إلى درجة أن يقولوا: ﴿**سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا**﴾، أي انهم تمادوا في غيِّهم. ونتيجة أنهم لم يأخذوا ما أتاهم الله بقوة، فقد مُنيوا بخسارات كبيرة. وكذلك الأخرون المسلمون أنفسهم عندما لا يأخذون كتاب الله بقوة فسيصلون إلى أسوء ما وصل إليه بنو اسرائيل.

٥. نتيجة إعراض بني اسرائيل عن هدي الله

ويأتي من النتائج الغريبة بعد ذلك، قضية يعشقها الناس نتيجة خروجهم عن هدي الله، وهي قضية باطلة، ثم تحاط بهالة معينة، فتصبح في الأخير قضية أساسية، ويتشبثون بها، ويشربونها شرباً ﴿**وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ**﴾(البقرة: ٩٣). فالكفر أحياناً يقدم بشكل ثقافة مزخرفة تجعلك تعشق سيئاً وهو باطل في واقعه، ويصبح عندك يمثل قاعدة من قواعد الدين، وأساساً أو ركناً من أركان الدين،

مع أنه في الواقع باطل، وكان الشيء الطبيعي، توحيد الله، وحبه وحب نبيه وحب هداه، وتكونون عاشقين له.

ما هذا الإيمان؟! هذا إيمان سخيف إيمان ينتج عنه ﴿سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾ وتشبث بعجل، وعشق لعجل.

فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين

يقول سبحانه وتعالى ﴿**وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللهِ عَلَى الْكَافِرِينَ**﴾ (البقرة:٨٩) هذه الحالات لا تتصورها خاصة ببني إسرائيل، فالإنسان إذا لم ينتبه لنفسه من البداية لا يتوقع بأنه ربما في مرحلة أخرى سيهتدي أو ربما شخص آخر سيهتدي به أو... من هذه الأشياء، ومتى ما ضل الإنسان فقد تأتي أشياء جديدة وفيها هدىً له فلا يتقبَّل، ويأتي هداةٌ آخرون فلم يعد يتقبل.

﴿**وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ**﴾ ألم يكن الموقف من هذا الكتاب المصدق لما معهم من هذا النبي الذي جاء بهذا الكتاب الموقف نفسه الذي كان منهم مع أنبيائهم؟ وهذا يعطيك أيضاً بأنه عندما تجدهم كافرين برسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) لم تكن القضية فقط مجرد ردة فعل، لماذا لم يكن منهم، لماذا لم يكن من بني إسرائيل؟ وانما هي امتداد لما كانوا عليه حتى مع أنبياء منهم، رسل منهم ﴿**فَرِيقاً كَذَّبُوا وَفَرِيقاً يَقْتُلُونَ**﴾ (المائدة:٧٠).

فليست القضية أنه لو كان محمد جاء من بني إسرائيل أنهم سيسلمّون، لا. وحتماً فالقضية ليست كذلك، لانهم مع رسل منهم مستكبرون. وهذا يعني انه قد صار عندهم قضية ثابتة وأبرز ما تكون هذه الحالة، وهذه القضية يجب أن نركز

عليها، لنعرف من هم الذين يكونون على هذا النحو بشكل بارز؟ هم واجهة المجتمع، ومن هم أحبارهم، ورهبانهم، والطبقة المثقفة فيهم، وعُمَّار الكنائس، وأصحاب المكتبات من تراثهم. أما العامة فيكون تبع لهم فقط، هم لا يعرفون الدرس.

٦. ثقافة الكفر تصنع مواقف أهل الكتاب

﴿**أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لا تَهْوَى أَنْفُسُكُمُ**﴾ (البقرة:٨٧) هذه الآية تجعلنا نتساءل من الذي يعرف بأن هذا الرسول يأتي بما لا تهواه نفسه؟ هل كثير من عامة الناس الذين لا يزالون على فطرتهم، أو قريبين من فطرتهم. ما يأتي به الرسل يكون بالشكل الذي يمكن أن يكون مقبولاً لديهم بشكل كبير، لكن تنطلق الفئة الأخرى، الطبقة الأخرى المثقفة وهم الأحبار، والرهبان، والعلماء، وهم ينطلقون ليضللوا على هذا المجتمع بشكل كبير، ويقفوا في وجهه ﴿**فَفَرِيقاً كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقاً تَقْتُلُونَ**﴾ (البقرة:٨٧) ﴿**وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ**﴾ ويعرفون أنه مصدق لما معهم ﴿**وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا**﴾(البقرة:٨٩).

أي: هم يعرفون من البداية أن موضوع الخلاص يأتي على أيدي أعلام يصطفيهم الله، وهذه ثقافة ثابتة عندهم، لكن هناك خلل عندهم في ثقافتهم، وفي منهجيتهم، فأصبحت بهذا الشكل ﴿**جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ**﴾(البقرة:٨٩) وكان المفروض أن يكونوا هم أول مؤمن به، ألم يقل هناك: ﴿**وَلا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ**﴾ (البقرة:٤١) ﴿**فَلَعْنَةُ اللهِ عَلَى الْكَافِرِينَ**﴾ (البقرة:٨٩).

لأن الخطورة في المسألة، أنّ القضية في الأخير هي ثقافة تكوَّنت وتبلورت حتى أصبحت تشكل عوائق كبيرة؛ لأن الثقافة تصنع نفوساً، والثقافة هي تقوم

عليها الانطلاقة، وانطلاقة الناس، ومواقف الناس، تصبح هي مقاييس معينة حتى لم يعد يوجد بذرات من هدى الله تجعل النفس فيها نوع من تسليم لله، ويأتي الشيء الذي قد صار معروفاً تماماً يعرفونه وهم بحاجة إليه من قبل أن يأتي، ثم ماذا؟ يكفرون ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ (البقرة:٨٩). هل تستطيع أن تتصور أي مبرر منطقي لهم بأن يكفروا به؟ لا يوجد حتى ولا هذه (أن يقول أَحَدٌ: ربما لو جاء محمد من بني إسرائيل لكانوا آمنوا، ومستبعد أن يكفروا، بل ينتشر الإسلام). هنا قدَّم لك المسألة بأنهم: ﴿أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لا تَهْوَى أَنْفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقاً كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقاً تَقْتُلُونَ﴾ (البقرة:٨٧). **جاءكم رسول منكم** ﴿وَفَرِيقاً تَقْتُلُونَ﴾.

مقولات غريبة هي نتيجة ابتعادهم عن هدى الله

قال الله سبحانه وتعالى ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ (البقرة:٩١) هناك قال: ﴿فَبَاءُوا بِغَضَبٍ﴾ يعني غضباً من الله ﴿عَلَى غَضَبٍ﴾ وغضب شديد من الله، نعوذ بالله من غضبه، ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ أعني: فلاحظ الخسارة العجيبة في انصرافهم عن هدي الله وعمل هذه السيئات، وهم ومن يكونون على هذا النحو. فالنتيجة: غضب على غضب. بينما يذكر فيمن يسيرون على هديه تكون النتائج: ماذا؟ رحمة، وحب من جهة الله سبحانه وتعالى، ورعاية، وتكريم، ورضوان.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا﴾ (البقرة:٩١) هذه مقولة جديدة ظهرت عندهم، وهذه هي نتيجة حالة هم فيها، هذه الحالة التي هم عليها بحسب ثقافتهم السائدة ورؤيتهم ونفسياتهم، فلم يعد يوجد لديهم تقبُّلٌ أن يقبلوا هذا الدين. فهو يفكر كيف يجعل على أقل تقدير ذلك الموضوع في دائرة

هناك، ويجعل نفسه في دائرة مستقلة، ويخفف موضوع اللوم عليه على الأقل. وهذه سادت في أوساط اليهود، حتى يبدو أنها وصلت إلى عوامِّهم، كان بعضهم هنا في اليمن يقولون لك: "هذا هو نبيكم، محمد نبيكم، نبي العرب، ونحن نبينا موسى".

وفي آية أخرى يبين: أن هذا من التفريق بين الله ورسله ومن الإيمان ببعض الرسل والكفر ببعض، وقال عنهم: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقّاً﴾(النساء:١٥١). أي: أن من يكونون مُعْرضين عن هدي الله، فكل مرة يختلقون لهم مقولة، وتكون مقولات متعددة ما بين ما هو دعاية مضادة، وما بين ما هو عقيدة سيئة، وما بين شيء يعتبر في الصورة مبرراً لهم في انزوائهم وبقائهم على ما هم عليه، هذه واحدة منها ليكون في الصورة مبرراً داخليّاً وأمام المجتمعات: أنهم أصبحوا هم أمة وحدهم، هم على ما هم عليه! وترسخت هذه عند المسلمين في الأخير، حيث صاروا يعتبرون كأنهم أمة يبقون على ما هم عليه، ومعهم أنبياؤهم، ودينهم، وديانات سماوية وهم لهم دينهم، ونحن لنا ديننا. وقد كان هناك نظرة إليهم كإقرار لهم على ما هم عليه! مع أنها مقولة اختلقوها هم؛ لأن موقفهم بدا غير مبرر، وبدا مخزياً وحاولوا أن يستخدموها كمبرر حتى لا يلومهم الناس، بل يعذروهم "هم لهم دينهم ومعهم نبيهم وأنتم هذا نبيكم وهذا كتابكم". فعمموا هذه، وترسَّخت في أوساط المسلمين مع أنها مجرد مقولة تبريرية.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ (البقرة:٩١) الله وهو رب العالمين جميعاً ينطلقون ليتشبثوا بهذه ﴿نُؤْمِنُ بِمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا﴾ (البقرة:٩١) حتى ولو كان ذلك الشيء الآخر أُنْزِلَ مِن عند الله ﴿وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ﴾ (البقرة:٩١). وهذا الشيء الذي يكفرون به وهو القرآن الكريم ﴿وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقاً لِمَا مَعَهُمْ﴾(البقرة:٩١). أي:

هو يكشف الواقع الذي لديهم، والأشياء التي تعتبر مؤشرات على ما هو حق. تجلت هنا أي: صدقت على هذا وهو يصدقها إضافة إلى أنه يصدق ما هناك من حق لأنه دين واحد، والدين الواحد يوجد أشياء تكون أساسية فيه يصدق الدين فيها بعضه بعضاً.

﴿قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقاً لِمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (البقرة:٩١) لاحظ ما أجمل هذا في تعريف الناس كيف يفضحون الآخر فيما قد ظن بأنه مبرر، ويُسكِت الآخرين، وأنتم قلتم ﴿نُؤْمِنُ بِمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا﴾ لكن كنا نراكم أنتم في أنبياء منكم وينزل عليكم بواسطتهم كتب وتكفرون بهم وتقتلونهم ﴿قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾. إذاً فهذا إنما هو مظهراً من مظاهر كفركم، وتعني أنها: هي دعاية اختلقوها أو مبرر اختلقوه وهو يمثل في الوقت نفسه مظهراً من مظاهر كفرهم عندما يقولون: ﴿نُؤْمِنُ بِمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا﴾. وأنتم غير صادقين، وأنتم لا تؤمنون ولا حتى بما أنزل عليكم، وتقتلون أنبياء الله.

٧. قدم أهل الكتاب الدين باسم قوميتهم: (يهودية نصرانية)

يعود الحديث إلى موضوع أهل الكتاب اليهود والنصارى: **﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُوداً أَوْ نَصَارَى﴾** أي: قالت اليهود: لن يدخل الجنة إلا من كانوا هوداً، والنصارى قالوا: لن يدخل الجنة إلا من كان نصرانيّاً **﴿تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ﴾** مجرد أماني وأكاذيب متشاجرين على الجنة وما هم حولها كلهم! **﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾** (البقرة:١١١) وعلى هذا الادعاء كيف يستطيعون أن يقدموا برهاناً في هذه الحالة وواقعهم على هذا النحو الذي ذكره الله سبحانه وتعالى؟ وهم يعلمون بأنهم قتلوا الأنبياء وكانوا يكذبون ويحرفون، فكيف

يستطيع أن يدعي اختصاصه بالجنة بل كيف يستطيع أن يدعي بأنه من أهل الجنة؟! ما بالك بالاختصاص: لن يدخل الجنة إلا من كان يهوديّاً والآخر يقول: لن يدخل الجنة إلا من كان نصرانيّاً.

وهنا يقدم المسألة أيضاً بما يتنافى مع ما هو أساسي في الآيات هذه: أن دين الله لا يكون قومية، وليس قومية، وليس - فقط - ديناً لقومية أو لعنصرية أو لفئة معينة، فدين الله يتسع للجميع، وهم أصبحوا منزوين على أنفسهم، بل سموا الدين باسم قوميتهم، وأصبحت اليهودية تعني ديناً عندهم سموا الدين باسمهم وجعلوها قومية، وجعلوا دين الله، شريعة عيسى أيضاً قومية؛ لأن كلمة يهود وكلمة نصارى هي: قوميات جعلوها ديانات. هذه من السلبيات ومن السيئات، وهي في حد ذاتها مما تظهر بأنهم أصبحوا يقدمون الدين على خلاف ما أنزله الله على الإطلاق.

والله أنزله للبشر جميعاً، وجعل اسمه عنواناً لا يرتبط بقومية على الإطلاق (إسلام) والإنسان الذي يدين بدينه يعني: أسلم وجهه لله: ﴿**بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ**﴾ (البقرة:١١٢) والدين ليس ديناً ينبغي أن يسمى ويطلق عليه عبارات قومية وعبارات عنصر معين (يهودية نصرانية) ولا يصح أن تسمي الإسلام عربية، يعني: هم بالنسبة للدين سموه كما لو جئنا نسمي الإسلام عربية.

فدين الله يحمل عنواناً فوق هذه الأشياء كلها، ويستوعب الأشياء كلها ومفتوح. لماذا؟ لأن العنصرية والقومية تشكل أحياناً عوائق أمام الآخرين؛ لأنه في الأخير يترافق معها تثقيف عنصري وتثقيف قومي، والآخر هناك من عنده شكل كل طرف أسواراً على أنفسهم فلم تعد هناك إمكانية لأن يكون الدين بالشكل الذي يدخل فيه القوميات الأخرى، فهذه من مساوئهم الكبيرة.

﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ للهَِّ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾(البقرة: ١١١، ١١٢) لاحظ كيف رفع العبارة تماماً عن موضوع القوميات: ﴿بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ للهَِّ﴾ فليكن من داخل مجتمع اليهود أو مجتمع النصارى أو مجتمع العرب أو الفرس أو الأفارقة أو من أي منطقة كان ﴿مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ للهَِّ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾(البقرة:١١٢) أليس هذا ردّاً عليهم، ويبين خطأهم في أنهم مزَّقوا الدين وحولوه إلى قوميات وعنصريات، ثم يتشاجرون هم على الجنة مثلما تقول: يتشاجر آل فلان وآل فلان. فلم تعد المشاجرة عليها تحت عنوان دين مثلاً، وإنما هي مشاجرة بين اليهود والنصارى، مثلما تقول: بين العرب والفرس على الجنة. والقضية ليست كذلك. فالجنة جعلها الله على هذا النحو: ﴿مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ للهَِّ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ﴾ البقرة: من الآية ١١٢) وكلمة ﴿أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ﴾ أخضع نفسه، وعبَّد نفسه، ومن كان على هذا النحو سيكون قابلاً لأن يسير على هدي الله، ويأتمر بأوامر الله وينتهي بنواهيه، ويتوجه بتوجيهاته يقبل في الجنة.

لو أنهم على هذا النحو: مسلمون وجوههم لله لقبلوا، لكن لا، أطَّروا أنفسهم بأطرٍ قومية؛ ولهذا جاء الكلام عن إبراهيم (عليه السلام) في سياق الآيات ما كان يهوديّاً ولا نصرانيّاً، وكان مسلماً وأوصى أولاده بالإسلام، ودعا الله أن يجعله وأولاده مسلمين، ويعقوب (عليه السلام) كذلك. تراها أيضاً كيف كانت قضية تحدّث عنها بشكل كبير موضوع الإسلام لله.

إذاً نفهم من هذه: أن القضية مهمة جدّاً جدّاً يعني: قضية تقديم الدين، فلاحظ الآن عندما تنظر إلى الأمريكيين أنفسهم، تجد أن أمامهم الكثير من العوائق الكبيرة أمامهم لأنهم قدَّموا أنفسهم للعرب كأمريكيين، وأمريكا كدولة

وكأمة مستقلة لم يعد بالإمكان – مثلاً – أن يقدموا أنفسهم بحيث يكونون قابلين أن العربي إذا ما كان على ما يريدون فهو منهم أو أي بلد يدخلونه سيعتبر أهل هذا البلد وهو منا له ما لنا وعليه ما علينا، أبداً. يدخل الأمريكي وهو يريد من بلدك أن ينهب ثرواته لشركاته، وشركات أمريكية أن يفرض نفسه كأمريكي، أي كعنصر معين وبلد معين وفئة معينة من الناس.

والإسلام عندما كان يفتح بلداناً كيف يكون أهلها؟ لهم ما لنا وعليهم ما علينا، ألم يكن بهذا الشكل؟ الآن تراها عندما قدَّم الأمريكيون أنفسهم بعنوان قومي (أمريكا) شكلت أمامهم عائقاً كبيراً، أليس العراقيون يطالبونهم بخروجهم؟ هل كانت الشعوب التي كان المسلمون يفتحونها يطالبونهم بأن يخرجوا منها؟ والجواب لا؛ لأنه لا يرى أن هناك فئة احتلته احتلالاً بحسب منطق الإسلام العام، أبداً مسلمين، يعني: لنا ما لهم وعليهم ما علينا، وغاية ما هناك أن الدائرة اتسعت فقط، لا يأتي كطرف آخر ينهب ثرواتك هناك كما لو كان ملكاً له يذهب به إلى هناك. أليس الأمريكيون الآن يريدون نهب ثرواتهم لمن؟ للإنسان الأمريكي.

إذاً فالمسلمون هم يحملون عنواناً مهمّاً جدّاً – من إيجابياته المهمة إزالة عوائق كثيرة تخلق عند الشعوب وتخلق في النفوس، فيما إذا ما قدم الموضوع بعناوين قومية أو عنصرية — إسلام. فإذا دخل المسلمون بلداً فان غاية ما هناك لن يجد أهل ذلك البلد أن هؤلاء جاؤوا ليحتلونا، جاؤوا لينهبونا، أبداً، لهم ما لنا وعليهم ما علينا، وثرواتهم لهم، وثرواتنا أيضاً لهم، وثروات الكل لبعضهم بعض، فهل يستطيع الأمريكي أن يعتبر العراقي: له الحقوق التي يتمتع بها الأمريكي؟ أبداً، لو تأتي انتخابات في أمريكا هل سيشركون العراقيين فيها؟ وهل

يعتبرون أنهم شركاء في الجنسية الأمريكية؟ أبداً؛ إذاً ترى هذه بأنها شكلت عائقاً كبيراً جدّاً أمام الأمريكيين على الرغم من قوتهم الكبيرة وتمكنهم الكبير.

ولاحظ أحياناً أن الأمريكيين يتهربون من عبارة: القوات الأمريكية أو الجيش الأمريكي، ويأتون بعبارة (التحالف) باعتبار أنه عنوان عائم شيئاً ما، وكأنهم لمسوا من البعض الإشكالية هذه فحاولوا أن يأتون إلى عنوان يعتبر عائماً نوعاً ما، لم يعد يمثل إشكالية معنى التحالف: قوى معينة. ولم يخرج عن إطار قومية نهائيّاً. ولهذا كان هذا العنوان مهمّاً جدّاً بالنسبة لدين الله الذي هو لعباده جميعاً، أن يحمل العنوان الذي يمثل الإسلام له الإسلام، وتجد كلمة إسلام لا تعني قومية معينة ولا تعني عنصراً معيناً ولا تعني لوناً معيناً أبداً.

إذاً عندما ترجع مثلاً إلى موضوع: أن القرآن عربي، والرسول عربي، ويقول عن العرب: ﴿**جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا**﴾ (البقرة:١٤٣) فليس المعنى انطلاقات قومية أبداً، معناه ماذا؟ النهوض بمسؤولية، وهذه المسؤولية كلها لتصل بهذا العنوان، وهو (الإسلام لله)، ليس المعنى: أن العرب أنفسهم يتحركون ليحتلوا - هم كعرب - بلدان الآخرين وامتيازاتهم كعرب فيما يتعلق بثروات الآخرين وشركاتهم كعرب فيما يتعلق بثروات الآخرين، لا يوجد، هي مسؤولية أن ينهضوا بها هم. إذاً عندما تكون القضية مبنية على أساس أن هذا فعلاً هو دين للعالمين جميعاً ويهدي للتي هي أقوم، والعالم يحتاج إلى لغة واحدة لغة عالمية، فأن يربط هذا الكتاب الذي هو للناس جميعاً بأرقى لغة والله يعلم بأنها أرقى لغة وأفضل لغة يعني: ربطهم بلغة عالمية، لم يربطهم بقومية أبداً.

﴿**وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ**﴾(البقرة:١١٣) لاحظ كيف ظهرت الإشكالية، أي أنه عندما يتأطر الدين بأطر

قومية سيصبح محط اختلاف بين قوميات، وعندما يتأطر بأطر قومية فأول شيء يتشاجرون على الجنة فادعى أولئك أنه لن يدخل الجنة إلا من كان يهوديّاً، وادعى أولئك بأنه لن يدخل الجنة إلا من كان نصرانياً، وفيما بينهم أيضاً: ﴿**وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ**﴾ إذاً لو فهمت القضية لديهم وقدموها إسلام لله، نلتقي عليه جميعاً لما وجدت أيَّة إشكالية، يعني: هذه من سلبيات تأطير الدين بأطر قومية وما يترك عنوانه العنوان الإلهي: إسلام.

﴿**وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ**﴾ (البقرة:١١٣) وهذا الذي فيه عنوان الدين ليس عنوان يهودية ولا عنوان نصرانية؛ ولهذا نقول: يجب أن نفهم بأن من المغالطات الكبيرة عندهم عندما يقدمون اليهودية بأنها ديانة سماوية والنصرانية ديانة سماوية! واليهودية قومية، فإذا هم سموا الدين باسمها فلا يمكن أن يكون هو اسم الدين السماوي أبداً، والدين السماوي هو واحد: إسلام لله.

أ. قدموا عنواناً للدين مختلفاً تماماً

﴿**وَقَالُوا كُونُوا هُوداً أَوْ نَصَارَى**﴾ (البقرة:١٣٥) انظر الفارق الكبير إبراهيم (عليه السلام) يقول: ﴿**رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ**﴾ إبراهيم وإسماعيل، ويطلقون هذا الاسم على ذريتهم: ﴿**وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ**﴾ (البقرة:١٢٨) ويوصون أولادهم بأن يكونوا مسلمين لله. أما هؤلاء فقدموا عنواناً جديداً من داخلهم: كونوا هوداً، والنصارى قالوا: كونوا نصارى تهتدوا! إذاً أليست هذه مخالفة واضحة، وهذا العنوان مختلف تماماً، وعنوان للدين مختلف تماماً، أي وصلت المخالفة إلى درجة المخالفة في الدين بكله، في عنوانه بكله؛ كونوا هوداً، قال أولئك: كونوا نصارى!

ب. لا يوجد ما يسمى ديانات سماوية

﴿**قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ**﴾ (البقرة:١٣٥) وتلك الملة قد شرحناها كيف كانت إسلام ﴿**فَلا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ**﴾ (البقرة:١٣٢) وآباؤكم أعطوا هذا العهد عندما قالوا: ﴿**نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ**﴾ (البقرة:١٣٣) وأبوكم الأول الذي اسمه إسرائيل وهو يعقوب لم يفارق أولاده إلا بعد أن أقروا أمامه في اللحظة الأخيرة أن يكونوا مسلمين، وهؤلاء قد صار لديهم عناوين أخرى: كونوا هوداً، كونوا نصارى! ﴿**قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ**﴾(البقرة:١٣٥) أي وصلت الحالة إلى الشرك داخل اليهود، وداخل النصارى.

﴿**قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ**﴾ (البقرة:١٣٦) خطاب للمسلمين، قد يكون بشكل رئيس خطاباً للمسلمين: ﴿**آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا**﴾ يعني القرآن الكريم ﴿**وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ**﴾ (البقرة:١٣٦) إذاً أليست هذه أفضل طريقة: يعني أحجموهم، هوداً أو نصارى؟ لا، هذا العنوان كله شامل، ماذا بقي بإمكان اليهودي والنصراني أن يقول لك من بعد؟ ماذا يستطيع أن يقول لك بعد؟

﴿**آمَنَّا بِاللهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا**﴾ وهو القرآن، وهذا هو التسليم لله، وهذا هو الإسلام، وهذه هي ملة إبراهيم: ﴿**بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ**﴾ (البقرة:١٣٦).

وهذه الإجابة تفحم الطرف الآخر، وهي الإجابة الصحيحة، وتتكرر في مقامات كثيرة، لا يبقى الناس فاضين في ذهنيتهم لا يعرفون كيف القضية فيقال لهم:

ديانات سماوية، واليهودية ديانة سماوية، والنصرانية ديانة سماوية، والإسلام ديانة سماوية، هذه كلها ديانات، لا. هذه هي القضية الأساسية: نحن مسلمون ليس فيه اعتراف بيهودية، واعتراف بنصرانية، وعلى هذا النحو تكون القضية ليست قضية اعتراف بيهودية، اعتراف بنصرانية قل: ﴿**قُولُوا آمَنَّا بِاللهِ وما أنزلَ إِلَيْنَا وما أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ**﴾ (العنكبوت:٤٦) لأنك بهذه تشهد على أنهم مفصولون عن هذه المسيرة حتى في عنوان الدين، من بدايته إسلام لله، والإسلام لله مقتضاه: تقبُّل ما جاء به أنبياء الله، والتسليم لله: بأن ندين في أيِّ جيل بما يريد أن ندين به؛ لأن الدين هو له، الدين هو لله سبحانه وتعالى.

نقول: إذاً لا يوجد ديانات سماوية، وخطر كبير عندما يكون هناك من يعممه: اليهودية، والنصرانية ديانات سماوية، والإسلام، كلها ديانات سماوية، وكلها نعترف بها وكلها كذا.. هذه مشت في أوساط المسلمين للأسف، وخطيرة جدّاً أن يقبلونها، ولَمَّا كانت خطيرة الله يعلِّم المسلمين كيف يقولون؛ لأن اليهود قالوا: كونوا هوداً، والنصارى قالوا: كونوا نصارى، وهذا نموذج لما يمكن أن يقولوه، فإذا كان لا ينفق في زمن من الأزمنة أن يقولوا للناس: كونوا هوداً، قد يقولون شيئاً آخر، يقولون: هذه ديانة سماوية، وهذه ديانة سماوية، اعترفوا بها مع الديانة التي أنتم عليها، ويعممونها بطريقة أخرى.

قل أمام كل ما هو من هذا النوع من المقولات: ﴿قُولُوا﴾ خطاب للمسلمين بشكل عام: ﴿**آمَنَّا بِاللهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ**﴾ (البقرة:١٣٦) أي إيمان بالرسل وإيمان بالكتب، نحن مؤمنون بالتوراة، ومؤمنون بالإنجيل، ومؤمنون بالزبور، ومؤمنون بصحف إبراهيم، ومؤمنون بكتب لا نعلم ما هي أسماؤها مما أنزل على أنبياء آخرين، هذا هو الإيمان

الحقيقي، لكن أؤمن بـ(باليهودية) وأؤمن بـ(النصرانية) فهذه عناوين أخرى لا علاقة لها بدين الله، ديانة هي: مجموعة أهواء، مجموعة ضلالات، وانحرافات عن ملة إبراهيم (عليه السلام) عن التسليم لله، وخروج عن الميثاق الذي أعطاه أسلافهم لله والذي أخذ أجدادهم على أبنائهم أن يكونوا مسلمين لله، ويأتي ليقول لك: ديانة سماوية!

نحن لا نعترف بأن اليهودية ديانة سماوية، ولا نعترف بأن النصرانية ديانة سماوية، ولكن نحن نؤمن بما أنزل على موسى، وما أنزل على عيسى، وما أنزل على إبراهيم وإسماعيل وإسحاق... إلى آخره.

٨. حقيقة بني اسرائيل من خلال قصة ذبح بقرة

من القيمة الهامة للهدى الذي أنزل إليهم وجاء به موسى كتاباً وفرقاناً وأساس الهدى وتربية للمجتمع يقول لهم إنه كان الكتاب والفرقان كان مرتبطاً بموسى (عليه السلام) وموسى يمثل العَلَم لهم يمثل: معلم، وقائد، ومربي، وموجه. هم يتفهمون وينطلقون على أساس توجيهاته بدون أخذ ورد. ما حصلت هذه. فلاحظ كيف كان موقفهم في قضية واحدة، في قضية (البقرة)؟! هدى الله لا يصنع أناساً على هذه النوعية أعني: أنه يتضح لك كيف يحصل الخلل؛ لأن الله سبحانه وتعالى يقول بالنسبة للرسول (صلوات الله عليه وعلى آله)، وهي المسيرة نفسها، والطريقة الواحدة نفسها التي عند رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) محمد، وعند عيسى، وعند موسى، وعند إبراهيم (عليهم السلام) أنهم يهدون الناس، ويعلمونهم الحكمة، ويبنونهم مجتمعاً متماسكاً متوحداً، كلمته واحدة، موقفه واحد، وانطلاقته واحدة. ولكن حصل لديهم خلل كبير جدّاً! هذه الظاهرة السيئة عندما قال لهم موسى (عليه السلام) في قضية هم بحاجة إلى أن

يكتشفوا من هو الذي ارتكبها، قتيل قتل في ظروف غامضة جداً وأصبحوا يتدافعون المسألة، "هم قتلوه آل فلان أو ربما آل فلان": **﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْساً فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا﴾** (البقرة:٧٢) كل واحد يدفع عن نفسه ويتهم طرفاً آخر.

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللهَّ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً﴾ (البقرة:٦٧) إن أسلوب الأنبياء يبين كيف أنهم أشخاصٌ حكماء، وهم حكماء، يعرف نفسيات أصحابه، وكيف وصلت الحالة بهم! كان يكفي من موسى (عليه السلام) أن يقول لو أنهم كانوا قد وصلوا إلى مستوى (جيد) دع عنك (ممتاز) بل جيد، أنه كان يكفيهم من موسى نفسه توجيه معين أن يقول لهم: اذبحوا بقرة فيتحركون، هو يعرف كيف واقعهم وكيف نفسياتهم **﴿إِنَّ اللهَّ يَأْمُرُكُمْ﴾ أمر إلهي مباشر ﴿إِنَّ اللهَّ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً﴾**. (البقرة: من الآية ٦٧).

إن أساس تربية الأمم أنه لا يأتي بنبي بعد نبي على طول تاريخ البشرية، قد يكون مرحلة فيها نبي يمكن أن يقول: **﴿إِنَّ اللهَّ﴾** لأمة من الأمم، في مرحلة لا يوجد نبي، والأمة مترببة على هذه الحالة تحتاج إلى شخص يقول: **﴿إِنَّ اللهَّ يَأْمُرُكُمْ﴾** في موقف معين، هذا لا يتم، والأمة تتربى بطريقة تصل فيها إلى أن يكفيها توجيهات مباشرة من جهة الأنبياء أنفسهم، ثم من جهة ورثة الأنبياء.

ويكفيهم أيضاً بأنه، ليست مسألة يكفيهم، أعني: يكونون هم تربوا تربية وفهموا القضية على هذا النحو فيكفيهم أوامر من الجهة التي يعرفون أنها جهة هدى، لا، هنا احتاجوا: **﴿إِنَّ اللهَّ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً﴾** كيف كان الجواب؟ **﴿قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُواً﴾** (البقرة:٦٧). ماذا يعني نذبح بقرة؟! ماذا يعني بقرة؟!

إذاً هنا لم تكفهم تلك الفترة الطويلة أن يعرفوا أن موسى (عليه السلام) رجل حكيم! والشخص الحكيم لا يأمر بأشياء ليست حكيمة، ولا يأمر إلا بأشياء حكيمة، ومن ورائها حكمة، ولغاية مهمة، وإن بدت في الصورة وكأنها تصرُّفٌ غير طبيعي مع أنه – هنا – لم يكن تصرُّفاً غير طبيعي، تشبه نفسية الذين قال عنهم في أول السورة: ﴿**إِنَّ اللهَّ لا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلاً**﴾ (البقرة:٢٦) ﴿**أَتَتَّخِذُنَا هُزُواً**﴾ (البقرة:٦٧) ماذا يعني نذبح بقرة؟! أليسوا يذبحون بقراً، ربما كل يوم يذبحون بقراً لكن لا، استغراب! هذا أول خلل، وماذا يعني أول خلل؟ ظاهرة من مظاهر الخلل لديهم، في أنهم لم يهتدوا بهدي الله.

كان الشيء الصحيح لمجرد أن يريد منهم أن يذبحوا بقرة، أن يأمرهم موسى نفسه مباشرة: (اذبحوا بقرة) وبدون أخذ ورد، فيتجهون إلى بقرة ويذبحونها؛ لأن الأمر واضح في القضية. فعندما يقول: بقرة يعني: أيَّ بقرة، ولكن لا. ﴿**قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُواً قَالَ أَعُوذُ بِاللهَّ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ**﴾(البقرة:٦٧) لا يمكن أن أتخذكم هزواً ولا يمكن أن أعمل أوامر! مع أنه هنا يقول لهم: ﴿**إِنَّ اللهَّ**﴾ معناها: أيتخذنا الله هزواً! أليس معناها هكذا في الأخير؟ لم يكفهم أنه قال: ﴿**إِنَّ اللهَّ يَأْمُرُكُمْ**﴾ فلاحظ كيف هذا وحده من المظاهر السيئة.

أ. أخذ ورد في ذبح بقرة

عندما يكون المجتمع، أو أمة من الأمم تهتدي بهدي الله الذي يوجد حكمة لدى الناس، ورؤية حكيمة، وفهماً ومواقف مبادرة، لا يوجد فيها أخذ ورد، قالوا بعدما قال لهم: ﴿**بَقَرَةً**﴾ أليست كلمة بقرة تعني: أيَّة بقرة، مثلما تقول لشخص: نحن نريد أن تبحث لنا عن (كبش) عندنا ضيف، أليس فأنه سيعرف أيُّ أَحَدٍ أَنَّ

المطلوبَ أن يبحث عن كبش أيَّ كبش؟ ليس بحاجة إلى أن يقول: ما لونه؟ وما هو؟ ومن أي نوع؟ وأشياء من هذه.

﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ﴾ (البقرة:٦٨) قد قال: بقرة من البداية ﴿قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لا فَارِضٌ وَلا بِكْرٌ﴾ (البقرة:٦٨) ليست مسنة، ولا هي فتيَّة، ومتوسطة ﴿عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ﴾ (البقرة:٦٨) أليس هذا أمراً آخر؟ بعد أول سؤال أعطاهم مميزات معينة: بقرة متوسطة في السن ﴿فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ﴾ .﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْنُهَا﴾ (البقرة:٦٩) ما لونها؟ نحن نعيش هذه الحالة، لا نضحك على بني إسرائيل لوحدهم حقيقة؛ لأننا نعيش نحن المسلمين والزيدية نحن بالذات الذين نقول: إننا الطائفة المحقة والمتمسكين بأهل البيت، وبالثقلين كعنوان لدينا، وقضية البقرة لا تزال موجودة، نأخذ عبرة ودروساً من هذه.

ب. لم يقدِّروا موسى (عليه السلام) حق قدره

﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ﴾ (البقرة:٦٩) من البداية ﴿ادْعُ لَنَا رَبَّكَ﴾ يكفيهم أن يسألوه شخصيّاً؛ لأن ربهم قد اختاره لهم هادياً ومرشداً ومعلماً وموجهاً. هنا ألست ترى وتلحظ أن موسى نفسه لا يقدرونه حق تقديره كرسول من عند الله؟! فتكون هذه القضية انعكاساً لتقديرك لما يأتي من عند الله عندما تعرف بأن الله لن يختار شخصاً إلا وهو فعلاً مؤهل لأن يقوم بالدور على أكمل وجه.

﴿ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ﴾ (البقرة:٦٨) ﴿ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْنُهَا﴾ (البقرة:٦٩)! وعادة لا تكون البقر ملوَّنة بشكل كبير، وعادة تختلف البقر عن بعض الحيوانات الأخرى، وترى البقر والغنم في الغالب لا يكون القطيع الواحد، هذه حمراء، وهذه صفراء، وهذه بيضاء، وهذه خضراء، وهذه غبراء وهذه... ،

والغالب أنها تكون متقاربة اللون، لا يوجد هنا في واقع القضية ما يكون مبرراً لأن يتساءلوا فيقولون مثلاً: قطيع البقر، أو السوق فيه بقر لكن هذه حمراء وهذه صفراء وهذه بيضاء، ألوان متميزة، تنظر إلى سوق من البقر أو قطيع من البقر فتجدها متقاربة، يكون إذا كان هناك لون متميز ويكون نادراً وشاذّاً؛ إذاً لا يوجد ما يوجب اشتباهاً على الإطلاق.

﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ﴾ من البداية ﴿قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ﴾ (البقرة:٦٩) ألم يقل هناك: ﴿بَقَرَةٌ لا فَارِضٌ وَلا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ﴾ (البقرة:٦٨)؟ وهنا أيضاً: ﴿إِنَّهُ يَقُولُ﴾ لم يعد موسى إلا وسيطاً فقط بينهم وبين الله .

٩. كيف يربي الأنبياء أممهم؟

لاحظ أن هنا خللاً كبيراً جدّاً؛ لأن الأمم تُرَبَّى في عصور الأنبياء بالشكل الذي لِمَا بعد الأنبياء أيضاً، ولِمَا بعدَه، ولا تحتاج إلى أن يكون أمامها نبي يُوحَى إليه، فضلاً عن أن تكون مع وجود النبي تحتاج إلى أوامر إلهية مباشرة في لون بقرة، وسن بقرة، وتشخيص بقرة! فالنبي لا يأتي لعصره فقط. فالنبي يربي أمة، ويرشد أمة، ويثقف أمة لتكون مستبصرة و حكيمة، قابلة لأن تستمر في دورها، وتتقبل قيادات هي امتدادٌ للنبي؛ لأن الأنبياء يموتون. وأمة مثل هذه معناه تريد لها نبياً باستمرار وعلى اتصال مباشر!

أ. عندما يصبح الناس بقراً تشتبه الأمور عليهم

﴿ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا﴾(البقرة:٦٩) هنا يبين لنا نسبة لونها: هل صفراء وردية، أو صفراء فاقعة، أو صفراء طبيعية؛ لأن اللون الواحد كأنه أيضاً درجات. ﴿صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ

النَّاظِرِينَ﴾ (البقرة:٦٩) ألم يبين هنا جواب موسى (عليه السلام) في هذه الدرجة؟ حاول أن يقدم لهم، ويشخص القضية بشكل كامل **﴿صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ﴾** لم ينفع **﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا﴾**(البقرة:٧٠) هم بَقَرٌ، في الواقع، وعندما يصبح الناس بقراً تكون الأمور متشابهة عليهم، والأمور معمّاة عليهم، ولا يفهمون ولا يسمعون ولا يفقهون.

﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللهُ لَمُهْتَدُونَ﴾ (البقرة:٧٠) أي نحن على استعداد أن نلتزم بيِّنْ لنا هذه المرة فقط! يعني: عسى – إن شاء الله – أن نجد هذه البقرة المطلوبة! فالمطلوب من البداية بقرة أيَّ بقرة، يذهبون من السوق ليأخذوها، أو من عند أي فلاح من أطرف بيت ويذبحونها.

﴿وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللهُ﴾ عسى أننا سنجد البقرة المطلوبة ونذبحها. **﴿قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لاَ ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلاَ تَسْقِي الْحَرْثَ﴾** بقرة لم يَسْنُوا عليها، ولم يستخدموها في حراثة الأرض **﴿مُسَلَّمَةٌ لاَ شِيَةَ فِيهَا﴾** (البقرة:٧١) ليس فيها عيوب ولا فيها خلط من الألوان. كما يقولون. **﴿لاَ شِيَةَ فِيهَا﴾** ليس فيها عيوب، وفي الوقت نفسه لا يوجد فيها ألوان أخرى، وتكون على لون واحد. هنا أليست البقرة بدت نادرة أكثر؟ كلما زاد السؤال جاءت القضية بشكل نادر أكثر.

ب. هنا يوجد مؤشر خطير

وهذا مؤشر خطير بالنسبة للناس، إذا لم ينطلقوا مثلاً في موقف معين فأنهم قد يبلون بأصعب منه، وقد يعاقبون بأن يُقحموا في أصعب منه، وهكذا.

وفي موضوع الجهاد يوجد مثل لهذا: **﴿قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَى قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ﴾** (الفتح:١٦) لم يرضوا أن يتحركوا، أن

يقاتلوا أناساً بُسَطاء مثلهم، تخلَّفوا، وجبنوا، ماذا كانت النتيجة بالنسبة لهم، للمخلفين؟ أن يُقحموا بطريقة لا بد منها واحدة من اثنتين: **﴿تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ فَإِنْ تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللهُّ أَجْراً حَسَناً وَإِنْ تَتَوَلَّوْا﴾** (الفتح:١٦) أليس هذا أمراً صارماً؟ ليس لديكم مجال من أن تطيعوا وتتجهوا فعلاً لقتالهم وقد صاروا **﴿أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾** وهم كانوا يهربون من أناس بُسَطاء **﴿تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ﴾** (الفتح:١٦) **﴿وَإِنْ تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَاباً أَلِيماً﴾**(الفتح:١٦) بينما العكس متى ما اتجه الناس في قضية، في موقف، هي تبدو سهلة فليفهموا بأنهم عندما ينطلقون في هذا السهل يكون بالشكل الذي يسهل العسير فيما بعد، يأتي تدخُّلٌ إلهيٌّ، تكون انطلاقتهم في هذا الموضع تعينهم على ما هو صعب، فلا يبقى حتى ولا صعب بالشكل الطبيعي، وانطلاقتهم في تلك القضية التي تبدو سهلة تساعدهم على أن تبقى القضايا الأخرى أسهل من واقعها فعلاً.

﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللهَّ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللهَّ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لا يَعْلَمُونَ﴾ (البقرة:١٠١) كيف كانت النتيجة أيضاً في تعاملهم مع كتبهم؟ فقد نبذوا ما في كتبهم مما هو شاهد بنبوة محمد (صلوات الله عليه وعلى آله) وتركوها وراء ظهورهم؛ لاحظ كيف يكون الضلال خطيراً جدّاً، وكيف يجعلك مع كل شيء حتى مع ما هو محترم عندك.

كتاب الله الذي هو القرآن الكريم يرونه أمامهم آيات بينات، ثم كتبهم؛ لأنه أحياناً عبارة كتاب تأتي اسم جنس، وجنس الكتاب. فهم قد نبذوا التوراة والإنجيل من قبل، ونبذوا ما فيها مما ظهر شاهداً لمحمد (صلوات الله عليه وعلى آله)، وعرفوا من خلاله أن هذا نبي فعلاً وهذا هو كتاب من عند الله **﴿مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللهَّ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لا**

يَعْلَمُونَ﴾(البقرة:١٠١) ويعلمون أن هذا الكتاب مصدق لما في كتبهم من أشياء، فنبذوا كتب الله السابقة، وكتاب الله هذا الجديد (القرآن الكريم) في ماضيهم عندما وصل ضلالهم فعلاً، وهي النتيجة التي يصل إليها أي مجتمع ينبذون كتاب الله ولا تدري إلا وقد صاروا يلاحقون أشياء أخرى ليس منها فائدة.

﴿نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللهِّ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لا يَعْلَمُونَ﴾ (البقرة:١٠١) هذه قضية مستمرة عندهم منذ قديم الزمان، تجد أنهم كانوا يتجهون إلى ما تتلوا عليهم الشياطين **﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ﴾**(البقرة:١٠٢) قد صاروا يُلاحقون خرافات، وسحر وطلاسم وأشياء من هذه! وكتاب الله هو أهم بكثير، وفيه ما لا يحتاج إلى مثل تلك الأشياء.

﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ﴾ كم الفارق بين الذي يأتي من عند الشياطين، وتزخرفه الشياطين، وبين كتب الله سبحانه وتعالى؟ بين هذا القرآن الذي نزله جبريل، وهم يقولون: جبريل، وهم هؤلاء يقبلون من شياطين! وهم معادون لجبريل ولا يريدون القرآن، والقرآن لا نؤمن به؛ لأن جبريل هو الذي نزله، وأنتم هناك سابقاً تتبعون ما تتلو الشياطين على ملك سليمان وفي عهده.

١٠. تعاملهم مع أنبياء الله وكتبه

قدم الله لنا في القرآن الكريم الكثير من صور عنادهم وكفرهم وفسادهم وتعاملهم مع أنبياء الله وكتبه نستعرض منها:

أ. صورة من صور تعاملهم مع كتب الله

يقول الله سبحانه وتعالى عنهم: **﴿وَآمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقاً لِمَا مَعَكُمْ وَلاَ تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ﴾** (البقرة:٤١) أي لا ينبغي لمثلكم إذا كنتم تتذكرون نعمة الله

عليكم أنها كانت كلها بواسطة الدين، وعلى يد الدين، وعلى يد الرسل الذين جاؤوا بهذا الدين؛ فلا ينبغي أن تكونوا أول كافر بمحمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وأول كافر بالقرآن الكريم. ﴿وَلاَ تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَناً قَلِيلاً وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ﴾ (البقرة:٤١) ويقول أيضاً: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلاَ يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلاَ يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (البقرة:١٧٤) ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَناً قَلِيلاً أُولَئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (آل عمران٧٧) ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلاَ تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾ (آل عمران:١٨٧).

ألم يقل هنا ﴿ثَمَناً قَلِيلاً﴾؟ إن كل ما بأيدي اليهود الآن، وهو تلك الممتلكات الهائلة في مختلف أقطار الدنيا إنها عند الله ثمن قليل مقابل ذلك الدين الذي نبذوه وراء ظهورهم، ومقابل هدي رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) وهذا القرآن الكريم الذي أمرهم الله أن يؤمنوا به كما أمر بقية عباده، إنه ثمن قليل، ويجب أن نفهم نحن، وما أكثر الناس – من المسلمين أنفسهم – الذين يبيعون الدين بثمن قليل!

والدين لا يعني أنك كفرت به بلسانك وصرَّحت بنبذه. أليس بنو إسرائيل الآن لا يزالون يطبعون التوراة والإنجيل ويوزعونها؟ أليسوا إلى الآن لديهم إذاعات تدعو إلى النصرانية، وتتحدث عن المسيح، وتتحدث عن أعلام الديانة اليهودية أو النصرانية؟ أليس ذلك قائماً؟ ماذا يعني "الاشتراء"؟ إنه عندما يعرض الباطل بشكل مال، وبشكل مصالح، وبشكل مكانة، أو مقام معنوي ينطلقون فيه، ويتركون الدين.

أَوَليست هذه حالة لدينا في أوساط المسلمين على نطاق واسع فبكل بساطة، وبدون اكتراث يدخل أحدنا في موقف باطل، ويعمل على أن يحصل على مصلحة ولو من طريق باطلة غير مشروعة، ولا يبالي بأنَّ دينه يحرِّم عليه هذا، ولا يبالي بأن دينه يهدده إذا ما دخل في هذا؛ هذا هو البيع للدين ولو في موقف واحد، ولو في قضية واحدة. .

ب. التحريف لكلام الله

بعد أن نقل هذه الصورة التي تبدو فقط صفحة واحدة من صفحات كثيرة من الصفحات التي تكشف واقعهم ونفسياتهم وما وصلوا إليه يأتي الخطاب للمؤمنين: ﴿**أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ**﴾ هؤلاء الذين ترونهم كيف كانوا مع آيات الله، ومع نعم الله، وكيف أصبحوا في واقعهم، وكيف أصبحت تصرفاتهم، وكيف انتهوا إلى هذه النتيجة السيئة ﴿**أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلامَ اللَّهِ**﴾ يعرفون أنه كلام الله على لسان موسى (عليه السلام)، أو على لسان أي نبي من أنبياء الله(عليهم السلام) ﴿**ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ**﴾ فهموه أنه من عند الله، وفهموا معناه، ويحرفونه عندما يقدمونه للآخرين ﴿**وَهُمْ يَعْلَمُونَ**﴾ (البقرة:٧٥) أليست هذه جُرْأَةً شديدةً جدّاً؟ ليست قضية طبيعية أبداً، فهل هؤلاء فيهم طمع، تطمع فيهم أنه يمكن أن يؤمن لك، ويستجيب لك، ويقبل منك، ويؤمن لك، ويسلِّم لك، ويؤمن بما أنت تريد أن يؤمن به؟!

ج. وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا

ويقول سبحانه وتعالى ﴿**وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلا بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلا تَعْقِلُونَ**﴾

(البقرة:٧٦) ﴿أَوَلاَ يَعْلَمُونَ أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ (البقرة:٧٧) بعد ما أكد بقوله إنها قضية مستبعدة، على أقل تقدير ليست قضية تطمع فيها، والمسألة تكون أن تؤدي شيئاً كمسؤولية، هذا شيء تؤديه كمسؤولية، أن تبين، أن تدعو. لكن قد تأتي قضية أخرى، هي: قضية الطمع في الطرف الآخر أنه قد يستجيب، وقد يؤمن لك، وقد يتقبل منك.

الموضوع الأول ضروري عمله: الدعوة، والتبيين لأي طرف مهما كان، وإن لم يكن فيه طمع، وهذا أسلوب قرآني. أليس هو هناك يقول لهم: أنْ يؤمنوا، ويدعوهم إلى أن يؤمنوا؟ وموضوع أن تطمع أحياناً يكون الطمع في طرف معين بأنه سيستجيب ما زال يعتبر شيئاً يشكل أملاً وتتفاعل أكثر. هؤلاء (بنو إسرائيل) ليس هنا مطمع فيهم أنهم سيؤمنون، ولكن لا بد أن تدعوا وأن تبينوا لهم.

د. لا يوجد فيهم طمع أو أمل أن يؤمنوا

أحياناً إذا كان هناك طمع ينعكس في مواقف الإنسان، وفي تصرفاته أشياء يتجنبها أي: هو معروف أن تكون طامعاً في جهة تكون لا يزال معك فيها أمل ستقول: "يا أخي ليس الوقت مناسباً الآن، ليس بهذه الطريقة، ما زال هناك أمل، عسى أنهم..." هذه في الأخير تنعكس في رؤية معينة حول تصرفاتك أنت في مواجهتهم. إذا كنت أنت فاهماً هؤلاء ليس هناك طمع أن يؤمنوا، ولا يوجد طمع فيهم أن يؤمنوا، ولكن أُدع وبيِّنْ بالطريقة الطبيعية، ولكن لا يوجد مطمع بالنسبة لـ(بني إسرائيل). وحتى عندما يأتون ليبحثوا عن موضوع سلام من بني إسرائيل، وعندما يكون عندهم أنهم يحصلون على سلام من عندهم في الصراع مع إسرائيل ومع أمريكا، لديهم طمع عساهم أن سيقبلون، وعسى أن يلتزموا باتفاقية معينة بيننا وبينهم، وعسى أن... ، هذه تقطع الأمل.

هـ. يؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعض

يقول سبحانه وتعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً * أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقّاً﴾(النساء:١٥٠،١٥١) مهما أظهروا أنفسهم، وارجعْ إلى الكافرين في القرآن؛ لتعرف كيف تكون أعمالهم، وكيف يكون تفكيرهم، وكيف تكون رؤيتهم، وكيف تكون خططهم، وكيف يكون مصيرهم، وكيف تكون خسارتهم في الدنيا، وكيف تكون خسارتهم في الآخرة ﴿وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَاباً مُهِيناً﴾ (النساء:١٥١) يعني: الله يحسسهم في أنفسهم أن يعلموا بأنه يعلم بواقعهم وأنه مُعِدٌّ لهم عذاباً مهيناً. وعذاب مهين عندما تأتي كلمة (عذاب) في كثير من الآيات المطلقة لا تأتي فقط لتقصرها على عذاب الآخرة، قد تكون شاملة فعلاً لعذاب في الدنيا وعذاب الآخرة، وهو القائل سبحانه وتعالى في آية أخرى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ﴾ (الأعراف:١٦٧) أليس هنا في الدنيا؛ لأنهم هم الذين تصْدُق عليهم هذه فيما يتعلق بالتفريق بين الله ورسله، والتفريق بين رسله، يؤمنون ببعض الرسل ويكفرون ببعض، يؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعض، ويقدمون هم من عندهم شيئاً على هواهم وعلى ما يحقق أهدافهم ومصالح معينة؛ هذا يعني: أنهم خاسرون.

كيف عرض القرآن الكريم النفسية اليهودية

عندما تستعرض هذه الآيات، تجد انها تعرض لك صفحات تاريخ طائفة بني إسرائيل السوداء والبيضاء عرضاً موضوعياً، بالإضافة إلى النعم والرعاية الإلهية التي حظيت بها.

خلاصة ما يقول القرآن الكريم، هو إن النفسية اليهودية قد بلغت حداً كبيراً من الحقد والخبث والمكر والدهاء، مع أن هذه الطائفة حظيت طول تاريخها برعاية إلهية عجيبة، وبنعم عظيمة، تثير التساؤلات، ولكن يجب أن نفهم بأن النفسية اليهودية هذا دأبها وهذه طبيعتها ﴿**يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُواْ نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ**﴾ (البقرة: ٤٧).

إذاً فلنعرف نحن المسلمون بأنه لا يمكن لليهود أن يعيشوا بصفاء معكم، مهما كانت أياديكم عليهم عظيمة، ومهما كان إفضالكم عليهم جسيمة، ومهما كانت أخلاقكم إليهم حسنة، ولا يمكن أن تصنعون لهم كمسلمين، كما صنع لهم الله، ولا يمكن أن ترعون اليهود كما رعاهم الله؛ ولكنه في الأخير لم تُجْدِ كل تلك الرعاية الإلهية سبيلاً إلى تحول من صياغة النفسية اليهودية عمّا هي عليه من حقدٍ، وخبثٍ، ومكرٍ، ودهاء.

وحتى من معاصيهم الكبيرة إنهم كانوا يقتلون الأنبياء: ﴿**وَيَقْتُلُونَ الأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ**﴾ (آل عمران:١١٢) وهم يعرفون الله، وهم يعرفون الرسالات أنها صحيحة، ويعرفون كل شيء، وعندما كان يأتيهم رسول بما لا تهوى أنفسهم فريقاً يكذبونهم وفريقاً يقتلونهم من الأنبياء؛ فكانت هذه من المعاصي، وكان هذا هو السر الذي توحي به هذه الآيات التي تتحدث عن الرعاية الإلهية، وحتى نفهم نحن المسلمين أننا عندما نتعامل مع اليهود، وعندما ننفتح لهم، وعندما نفتح صدورنا أمامهم، فإن هذا لن يغير شيئاً من النفسية اليهودية إطلاقاً. وبالتالي، عمد القرآن إلى خلق موقف صارم، لأننا نحن العرب وحتى شرارنا أقل دهاءً ومكراً. حتى من يحاول أن يجند نفسه للمكر والدهاء والخبث لن يستطيع أن يرقى إلى ما وصل إليه اليهود في هذا المجال.

أ. ضربت عليهم الذلة والمسكنة

ذكر القرآن الكريم أيضاً فيما يتعلق بواقعهم أن الله قد ضرب عليهم الذلة والمسكنة: ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللهِ﴾(البقرة:٦١)، ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللهِ﴾ (آل عمران:١١٢) وهذا من الأشياء العجيبة أن هذه الطائفة التي قد ضُرِبَتْ عليها الذلة، وضُرِبَتْ عليها المسكنة، وباءت بالغضب من الله أصبحت في هذا المستوى الذي هي عليه اليوم، وفي هذا التاريخ الحديث، وعلى مدى قرنين من الزمن على أقل تقدير، أصبحت إلى هذا المستوى الذي هي عليه من أن تَحْكُمَ العالم، وبالفعل فان اليهود اليوم هم الذين يحكمون العالم.

ونتساءل من أين جاء هذا؟ على الرغم مما هم عليه في واقعهم؟ ولماذا أصبح المسلمون - وبين أظهرهم كتاب الله سبحانه وتعالى - أذلاء لمن قد ضُرِبَتْ عليهم الذلة، ومستكينين لمن قد ضُرِبَتْ عليهم المسكنة، وتحت رحمة من قد باؤوا بغضب من الله؟! كيف وصل الأمر إلى هذه الدرجة؟! هذا شيء غريبٌ جداً، وهذا شيء يجب أن يهتم كل مسلم بالفعل بفهمه، وبمحاولة أن يتعرف لماذا وصل الحال إلى هذه الدرجة؟

ب. أشد الناس عداوة لنا

ويُصرِّح القرآن الكريم أيضاً في آية بهذه العداوة فيقول سبحانه وتعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ (المائدة:٨٢) وهنا يقول إن اليهود هم أشد الناس عداوةً للمؤمنين، والمؤمنون هنا في هذا التعبير هو بمعناه اللُّغوي، المؤمنون المنتمون إلى هذا الدين، والمحسوبون على هذا الدين، والذين يدينون بالإسلام، ويقرون بالله وبرسوله وبالقرآن، والإيمان بالمعنى

اللغوي ورد استعماله كثيراً في القرآن الكريم. ناهيك عن عداوتهم الشديدة للمؤمنين الحقيقيين؟

ج. لن يضروكم إلا أذى

ثم يقول سبحانه وتعالى فيما يتعلق بواقعهم في ميدان المواجهة أنهم ضعاف ﴿**لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذىً وَإِنْ يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لاَ يُنْصَرُونَ**﴾(آل عمران:١١١) ﴿**وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لاَ يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً إِنَّ اللهَّ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ**﴾ (آل عمران:١٢٠)؟

د. ضعاف في المواجهة

وهذا مما يثير الاستغراب أيضاً أن طائفة ضعيفة في ميدان المواجهة، ضُربت عليها الذلة والمسكنة، وباءت بغضب من الله استطاعت أن تقهر هذه الأمة، وأن تقهر العرب أولئك الذين لم يكونوا يسمحون لأنفسهم أن يُقهروا أمام بعضهم بعض وهم ما زالوا قبائل أعراباً في نفوسهم الإباء، وفيها النجدة، وفيها الشجاعة، ويموتون من أجل كلمة واحدة، ويُقتل ولا يبالي، أقوياء في ميدان القتال.

والعرب معروفون بقوتهم في ميدان القتال، يبرز فيهم أبطال كثيرون جدّاً، ولكنهم قُهروا أمام من حكى الله عنهم أنهم ضعاف، وأنهم لو اتجهوا لقتالنا لما صمدوا، ولضعفوا، ولتفرقوا.

﴿**لاَ يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعاً إِلَّا فِي قُرىً مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعاً وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَعْقِلُونَ**﴾ (الحشر:١٤) هذه تحكي عن اليهود أيضاً في (سورة الحشر) فلماذا وصل الأمر إلى هذه الحال؟ ثم لماذا تبقى هذه الحالة قائمة منذ خمسين سنة؟ ومنذ خمسين سنة ونحن إلى الآن لا نرى توجهاً عملياً إلى إخراج الأمة من هذه الحالة السيئة: أن يصبحوا أذلاء أمام الذين قد

ضُربت عليهم الذلة، وأن يصبحوا جبناء مستسلمين أمام مَنْ هم جبناء في ميدان القتال، فبماذا وصل اليهود إلى هذا الشيء؟ وكيف عملوا حتى أوصلونا إلى هذه الحالة؟ وعن طريق من؟!

هل يود أهل الكتاب الخير للمسلمين

﴿مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أنتم أمام جهة خطورتها هكذا ﴿مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلاَ الْمُشْرِكِينَ﴾ يأتي بـ ﴿الْمُشْرِكِينَ﴾ بعد ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ فيما يتعلق بقلة خطورتهم فعلاً ﴿مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلاَ الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَاللهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ (البقرة:١٠٥) وما يودون أبداً، وليس عندهم ودٌّ أن ينزل عليكم أي خير من جهة الله، وأعظم خير هو هذا الهدى، فتتناول هذه العبارة أي خير من جانبهم هم أو من أي طرف آخر. فإذا كانوا لا يودون أن يُنزل على الناس أي خير من جهة الله فبالأولى من عندهم هم.

أ. هذه الآية كشفت لنا النفسية اليهودية

فالآية هذه مهمة جداً جاءت بشكل قاطع وبشكل مطلق أمام النفسية اليهودية التي هي خطيرة جداً، وهذه سنة إلهية فيما يتعلق بهداه للناس، وهداه يقدَّم للإنسان المتفهم الذي يعرف عمق الأشياء، تشبع نفسيته وثوابت معروفة للعامة من الناس، الذين ليس عندهم مثلاً ذكاء وليس عندهم فهم بالشكل المطلوب، وأقل ما يمكن أن يعرفوا أن أهل الكتاب لا يودون أي خير لنا، وهذه واحدة من الأشياء التي سيعرفها الواحد من الناس ولو لم يكن يقرأ ولا يكتب؟ وهذه قضية أساسية وثابتة من الثوابت تحصن الناس فالباري سبحانه وتعالى لم

يجعل قضية وعي الأشياء وفهمها، أي الأشياء التي تعتبر من هدى الله سبحانه وتعالى بالشكل الذي تحتاج إلى مفكرين وفلاسفة وباحثين متعمقين ليكتشفوها، يعطي هدى على هذا النحو ويعطي هدى يشكل قواعد عامة وأسساً، ويعرفها الناس كلهم، أيّ إنسان سيفهم من هذه الآية: بأن الذين كفروا من أهل الكتاب - ولا يوجد الآن في زماننا مؤمنون من أهل الكتاب وطيبون من أهل الكتاب، هم أولئك وأسوأ ربما من السابقين - أنهم لا يودون أن ينزل علينا أي خير من أي جهة.

ب. القرآن يعطي رؤية فيما يتعلق بما يأتي من جانبهم

وهذه تعطي رؤية فيما يتعلق بالأشياء التي تأتي من جانبهم، نراهم يقدمون مساعداتٍ، ويعملون مشاريع خدمية؟ يجب أن ترجع إلى هذه كقاعدة لتعرف كيف تتعامل مع ما يقدمونه، وكيف تتمسك بالشيء الذي يريدون من خلال تقديم هذه الخدمات وأن ينسفوه من نفسيتك أن تكون هذه قاعدة ثابتة لديك: بأنهم لا يريدون لنا أي خير، وأنهم لا يودون لنا أي خير على الإطلاق، ولكن هناك مشاريع بملايين الدولارات، يجب على الإنسان البسيط أن يفهم وسيرى بأم عينيه حقيقة ما يقدمونه، إنما هو عبارة عن طُعْم لتدجين الناس وصرف أنظارهم عن الحذر واليقظة أمامهم، من أجل أن يحتلوهم، ويجتاحون بلدانهم، وسيستعيد بالأضعاف المضاعفة من ثرواتك أنت من جيبك أنت بأكثر مما قدم لك، أما إذا انت تراه قدَّم مدارس مثلاً ألا يلحقها بالمنج الدراسي الذي يريده؟ فالمدرسة إذاً من حقه هو، وهو الذي يتحكم بمنهجها، ونحن في الاخير نقدم له الشكر ونصفق له ونعتبره متجملا معنا، وفي الواقع نقدم له ولاءنا ونعطيه أيضاً ابناءنا يعلمونهم ما يريدون.

ويمكن أن يعطونا - مثلاً – مستشفيات، ويعطون لنا مراكز صحية، ويعطون لنا مستوصفات، ولكن الله أعلم كم سيعملون من خلالها من أشياء تضر بالناس عمليّاً، إضافة إلى أنهم من خلالها يصنعون نظرة إيجابية عند الناس بالنسبة لهم، وهذه النظرة الإيجابية تجعل الناس يُغمضون أعينهم أمام ما يحيكونه من مؤامرات، وما يسيرون من أجل الوصول إليه، وهو أن يهيمنوا، وهذه القضية أصبحت ملموسة الآن؟ هم لا يعملون شيئاً إلاَّ وهم واثقون من حصولهم على ثمنه أضعافاً مضاعفة يستلمونها.

ج. ما هو المكسب الكبير الذي يريد أن يحققه الأمريكيون

الخطورة هنا المكسب الكبير للأمريكيين عندما يقدمون المساعدات في هذه النظرة التي يخلقونها من خلال مساعداتهم، وهم لا يقدمون شيئاً بمشاعر إنسانية، ويحق عليهم كدول متقدمة أن يعطوا دولاً فقيرة ويساعدونها من منطلق إنساني، والواقع انه لا يوجد عندهم على الإطلاق، إذاً فلما كانت هذه القضية هي نفسها قضية دقيقة ولا تزال تعتبر دقيقة أمامنا وأمام الكثير منا. فعندما يكون الكثير منا لا يعرفون كيف تتم عملية خداع العدو، مع أن القرآن الكريم قدم هذه في قصة آدم مع الشيطان، ألم يقدم له أشياء تعتبر خيراً بالنسبة له، ويحاول أن يحمله على أن يأكل من الشجرة؛ لأنه عارف أنه إذا أكل من الشجرة سيخرج من الجنة عارياً، ولا يتركون له حتى السروال حقه وفعلاً حاول ﴿**قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لاَ يَبْلَى**﴾ (طه:١٢٠) ألم يقدم نفسه حريصاً وهو يتردد عليه؟ حريص على أنه يريد لآدم أن يصل به إلى الخُلْدِ وَمُلْكٍ لاَ يَبْلَى، ويقسم بالله إنه من الناصحين له هو وزوجته حواء.

د. كل ما يقولونه مجرد خداع

أليسوا يقولون بالطريقة هذه: "نريد نرتقي بالشعوب، ونريد، ونريد، ونريد..." هكذا اعتبرها قضية بديهية في عملية الخداع والتضليل، ففي (سورة البقرة) قرأنا في آيات سابقة: ﴿**وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ * يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا**﴾ (البقرة:٨،٩) ويقول بعد: ﴿**وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لاَ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ**﴾ (البقرة:١١) يجب أن تفهم بأن الخداع والتضليل لا يتم إلا بأن يُقدَّم على أساسٍ يتقمصُ ثوباً يشكِّلُ جاذبيةً عندك خير لك، ونصيحة لك أليس فهو يُقدَّم بهذا الغطاء: أنه خير لك ونصيحة لك وحق واهتمام بك؟ ولكن هذه هي مترتبة على إيمان الإنسان به وثقته بالله، فإذا كان واثقاً بالله ومؤمناً به ومصدقاً بالله وأنه أعلم منه بالآخرين، أليس الله قال في آية أخرى: ﴿**وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ**﴾ (النساء:٤٥).

***

الفصل الثانِي

وسائل بني اسرائيل الخبيثة في استهداف الأمة

وسائل بني اسرائيل الخبيثة في استهداف الأمة

١. خطورة بني إسرائيل

ثم فيما عرضه القرآن الكريم عن بني إسرائيل ما يدل فعلاً على عِظمهم إذا صلحوا، وعلى خطورتهم البالغة إذا ما اتجهوا إلى جانب الشر، وخطورتهم في ذكائهم، وفي مكرهم، وفي تصميمهم، وفي دهائهم، أنهم بالِغو الخطورة، و هذا هو ما حصل فعلاً، وشهدت به الأحداث، وشهد به التاريخ الطويل، وفي التاريخ الإسلامي، ناهيك عن التاريخ الماضي لبني إسرائيل، بل هم استفادوا من التاريخ عبراً ودروساً فكانوا في هذا الزمن على أرقى ما يمكن أن تكون عليه طائفة من البشر.

فاليهود خطيرون جدّاً إذا ما اتجهوا إلى جانب الشر، وهذه أصبحت هي الصفة الغالبة عليهم، وخاصة بعد الإسلام وهي الصفة الغالبة عليهم الآن في كل بقاع الدنيا، وهي الاتجاه إلى الشر وإلى المكر، وإلى الخداع، وإلى التضليل، وإلى لَبْس الحق بالباطل، أي أن لهم قدرة رهيبة جدّاً في هذا الموضوع.

عندما يتحدث الله في كتابه العزيز عن أنهم كانوا قديرين جدّاً في مجال لبس الحق بالباطل، وقديرين جدّاً في التحريف، وقديرين جدّاً في التأثير، إلى درجة أنه عرض أن الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) لولا فضل الله عليه ورحمته لهمت طائفة منهم أن يضلوه ﴿**وَلَوْلا فَضْلُ اللهَّ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ**﴾ (النساء:١١٣)، وقال في آية أخرى: ﴿**وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ**﴾ (الإسراء:٧٣).

ورسول الله (صلوات الله وسلامه عليه) هو الكامل في عقله، وهو الكامل في دهائه، وفي فطنته، وفي ذكائه، لكنه هنا يعرض درساً للمسلمين من بعد أنه إذا

كان اليهود إلى هذه الدرجة العالية من القدرة، وإلى درجة أنه لولا فضل الله على رسوله (صلوات الله عليه وعلى آله) لهموا أن يضلوه، ولكادوا أن يفتنوه عن الذي أوحى الله به إليه، فكيف سيكون شأنكم أنتم يا أبناء هذه الأمة أمام هذه الطائفة إذا ما اتجهت لمحاربتكم.

أ. لبس الحق بالباطل

لنعد إلى ما قاله الله سبحانه وتعالى عن اليهود في كتابه الكريم:

تحدث عن قدرتهم الرهيبة على لبس الحق بالباطل، وهذه قضية ليست سهله **﴿وَلاَ تَلْبِسُواْ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُواْ الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾** (البقرة:٢٤) **﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾** (آل عمران:٧١) **﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلامَ اللهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾** (البقرة:٧٥).

هذه واحدة من خصالهم الخطيرة والسيئة: قدرتهم الرهيبة على لبس الحق بالباطل، وهذا ما تعاني منه الأمة، وهذه نقطة واحدة من الأشياء التي يشتغل بها اليهود داخل هذه الأمة: لبس الحق بالباطل، والتزييف للثقافة، والتزييف للفكر، والتزييف للأعلام، والتزييف للحياة كلها.

نسير بسيرة اليهود ووفق ما يريد اليهود، ونحسب أننا مهتدون، وأننا أحرار، وأننا وطنيون، وأننا متحضرون، وأننا متقدمون، هذه القدرة الرهيبة التي يعملها اليهود: لبس الحق بالباطل؛ الله حكاها عنهم كصفة سيئة، وعندما يحكيها كما قلت: إنه يجب أن نتساءل هل عندما يصف الله اليهود بأنهم قديرون على لبس الحق بالباطل سيترك المسألة بدون حل أم أنه سيهدي الأمة إلى ما يمكن أن

يجعلها قديرة، وبمنأى عن تلبيس بني إسرائيل، لا بد أن يكون قد وضع حلاً، وقد وضع فعلاً.

ب. ودهم الشديد أن نكفر بعد الإيمان

ذكر القرآن الكريم عنهم حرصهم الشديد مع قدرتهم على تلبيس الحق بالباطل أنهم أيضاً ينطلقون بوُدٍّ ورغبةٍ ودافعٍ قويٍّ إلى مسخ المسلمين ﴿**وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّاراً**﴾(البقرة:١٠٩).

فاليهود يعرفون أثر الإيمان عندما يكون هناك في الأمة إيمان، وهم يعرفون أنهم إذا استطاعوا أن يمسخونا كفاراً، هم لا يريدون أن نكون يهوداً، وقالوا في وثائقهم المسماة (بروتوكولات حكماء صهيون): إنهم لا يريدون أن يكون المسلمون أو النصارى يهوداً، لأنهم لا يستحقون أن يكونوا يهوداً ولكن يكونون كفاراً يكونون ضالين، يكونون كذا... إلخ؛ ليفقدوا النصر الإلهي والتأييد الإلهي وما يمكن أن يعطيه الإيمان.

يودون أن نكون كُفَّاراً ولم يقل:(يودون أن نكون يهوداً)، هم ليسوا مشغولين بأن يدعونا إلى أن نكون يهوداً، لماذا لا يودون أن نكون يهوداً ويودون أن نكون كفاراً؟ هم هَمُّهم الرئيس ألاَّ نحمل إيماناً نُمنح به تأييد الله ورعايته فيصعب عليهم مواجهتنا، ويصعب عليهم ضربنا؛ فليفسدونا، فليحولونا إلى كفار، هذا هو الذي يريدون.

ج. يريدون أن نضل السبيل

ثم يقول أيضاً في آية أخرى، يقول عنهم: ﴿**وَيُرِيدُونَ أَنْ تَضِلُّوا السَّبِيلَ * وَاللهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ وَكَفَى بِاللهِ وَلِيّاً وَكَفَى بِاللهِ نَصِيراً**﴾ (النساء:٤٤، ٤٥) وبعدها يقول: ﴿**مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ**﴾ (النساء:٤٦)... إلى آخر الآيات.

كراهتهم أن يروا المسلمين في خير، في تقدم، في رخاء، فذلك شيء يعملون بجدٍّ على أن يَحُولُوا بين الأمة وبين الوصول إليه ﴿**مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ**﴾ (البقرة:١٠٥) وفعلاً نحن هنا في اليمن كمثال، ناهيك عن بقية الدول العربية، والمسألة واحدة طعامنا، ولباسنا، وأدْوِيَتُنا، ومختلف الكماليات التي نستخدمها، والصابون، والشامبو، ومختلف المشروبات، ومختلف العطور، والأشياء الكثيرة جدّاً جدّاً التي نستهلكها، معظمها من شركات أجنبية مصنوعة بأيدي اليهود.

هم لا يريدون أن يصل الناس إلى مستوى أن يصنعوا لأنفسهم، أن يكتفوا بأنفسهم في مجال الزراعة، وفي مختلف شؤون الحياة. لا يودون لنا أي خير، ويريدون منا أن نظل سوقاً استهلاكية نستهلك منتجاتهم، وليضعوا مصنعاً هنا في هذا البلد العربي، أو في ذلك البلد العربي المصنع لنفس الشركة واسم المنتج ويحمل نفس اسم الشركة صابون "آريال" وصابون "كريستال" وصابون كذا...، كلها الأسماء نفسها، وبسكويت "أبو ولد" وغيره هي الأسماء نفسها للشركات نفسها والمنتج الرئيسي لها نفسه، والشركة يكون مقرُّها في بريطانيا أو في أي مكان في دول الغرب أو في أمريكا، وهنا مصنع يوفر عليهم كثيراً من الأموال عندما يكون مصنع هنا، وليخدعونا نحن بأن هذا هو منتج وطني، واقرأ على كثير من المنتجات "بترخيص من شركة كذا"

التي مقرها في نيويورك أو مقرها في لندن أو في أي دولة من الدول الأخرى، فكل ما نستهلكه يصب معظمه إلى جيوب اليهود.

هذا بالنسبة لـ (الخير) في هذا الجانب الاقتصادي وفي جانب ما نستهلكه في مجال الغذاء. والدواء كذلك ومعظم الأدوية من شركات أجنبية، واليهود معلوم بأنهم هم أصحاب رؤوس الأموال الكبيرة المسيطرة على قطاعات واسعة من الاقتصاد في أمريكا وفي دول الغرب وفي أوروبا وغيرها. يحملون عداوةً شديدةً لكم؛ فهم لا يودون لكم أي خير، وهم دائماً مستشعرون لهذه العداوة. لأنهم أناس لا تعرفهم ولا بينك وبينهم، وأنت لا تودهم، ولا تبغضهم، ولا تعاديهم، ولا تواليهم. أليس هذا قد يحصل؟ لكن اليهود بالنسبة لنا مشاعر داخلية، توجه داخلي، لديهم حالة نفسية: أنهم لا يريدون لنا أي خير، ويعملون على ألاَّ نصل إلى أيِّ خير، لأنهم أعداء، ويريد الله أن يقول لنا إنهم أعداء، ويجب أن تتعاملوا معهم كأعداء، وأن تحملوا لهم عقدة العداء.

د. يصرفون الناس عن تاريخهم الحضاري

يقول سبحانه وتعالى ﴿وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ﴾ (آل عمران:٦٩) يعني أن الإضلال هو ما يحصل في الجانب الثقافي، وفي الجانب السياسي، وفي مختلف الأشياء. واليهود هم وراء إضلال المسلمين.

حاول اليهود بكل ما أوتوا من ذكاء ودهاء وخداع أن يصرفوا الناس عن التاريخ الاسلامي، حتى لا يبقى هو المسيطر على مشاعر المسلمين، وأمجاده، وعظمائه، وأحداثه وهي الأشياء التي يستوحي منها المسلمون ما يتعلق بحاضرهم. وحاولوا كذلك أن يجعلوا من التجارب الحضارية القديمة في اليمن والعراق مصر مثلاً مادة لتخديرهم فقط وصرف أنظارهم عن النظر إليها

كتجارب حضارية لأسلافهم تشكل التجارب الحضارية الاسلامية نتاج حضاري تراكمي يستفاد منه في بناء حاضرهم.

ففي اليمن قامت حضارة مزدهرة في مجالات الحياة المختلفة السياسية والزراعية والانشائية والتشريعية وغيرها، أهلت اليمنيين القدماء أن يسهموا في الفتوحات الاسلامية وبناء الدولة الاسلامية وأسهموا بخبراتهم الحضارية ومهاراتهم المكتسبة في دراسة اللغة العربية والقرآن الكريم والعلوم الاسلامية الأخرى فأثروا المكتبات بنتجاهم العلمي.

لذلك حاول اليهود أن لا يستعيد اليمنيون خاصة والعرب مشروعهم الحضاري القديم والاسلامي في هذا العصر حتى يصبحوا قوة تقف في وجه نفوذهم وهيمنتهم السياسية والاقتصادية والثقافية. وهذا ينطبق على أهل العراق وبلاد الشام ومصر وغيرها.

ولذلك عملوا بكل الوسائل والاغراءات أن يشدوا أصحاب تلك الحضارات إلى أمجادهم القديمة ليبقوا أسرى في ذلك الزمن والتاريخ بهدف ابعادهم عن التفكير بتاريخهم الاسلامي حتى لا يكون مصدراً قوياً يوجهون به أهل الكتاب، مع انهم في الوقت الحاضر قد حاولوا أن يدسوا سمومهم في التاريخ الاسلامي والعلوم الاسلامية وفرضوا جماعات اسلامية متطرفة شوهت ذلك الدين الاسلامي والتاريخ والعلوم الاسلامية فتفرقت الامة وحق أهل الكتاب غايتهم من ذلك.

ويضعون عقائديّاً بطريقةٍ أو بأخرى، يجعلون تعظيم أولياء الله، الحفاظ على معالم معينة على ولي، وعلى إمام، وعلى مولد للرسول (صلوات الله عليه وعلى

آله) على أي أثر إسلامي، والاهتمام به، وتعظيمه يعتبر بدعةً وشركاً! فليُقضَ على أيِّ مَعْلم إسلامي، ولْنَحُلْ بين المسلمين وبين أنْ يعظموا أيَّ وليٍّ من أوليائهم، أو مَعْلَمٍ من معالمهم، أو عَلَمٍ من أعلام دينهم. من أين جاءت هذه الأشياء؟ أليست لإضلال الأمة، لتجريدها عن هويتها الدينية، عن هويتها الإسلامية: ﴿**وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ**﴾ (آل عمران:٦٩).

ولشدة حرصهم كانوا يطمعون أن يضلوا حتى النبي (صلوات الله عليه وعلى آله) الذي يعرفون أنه نبيٌّ من الله، يعرفونه كما يعرفون أبناءهم، ثم مع ذلك يطمعون إلى أن يضلوه! فكيف لا يطمعون أن يضلوا هذه الأمة؟ أليس هذا هو ما يمكن أن نفهم؟ أنهم إذا كانوا من شدة حرصهم يحاولون أن يضلوا حتى النبي الذي يعرفون أنه نبي من عند الله، فكيف لا يعملون في مجال إضلالنا.

لقد أضلونا من قمة رأسنا إلى أخمص أقدامنا فعلاً، ثقافيّاً، واعتقاديّاً، وسياسيّاً، واقتصاديّاً!

٢. نشر أهل الكتاب الكفر والضلال والرِّبا وفساد الاخلاق

لقد جعلوا الرِّبا يصل كل بيت من بيوتنا، والبنوك في البلدان العربية تتعامل بالربا، والبنوك المركزية التي تنطلق منها عملات أَيَّة دولة عربية تتعامل بالربا، وكل عملة في جيبك مصبوغةٌ بالربا، وكل لقمة تأكلها الآن، وكل حاجةٍ تستخدمها من إنتاج شركة معينة، أو تمويل تاجر معين مصبوغة بالربا.

والمعروف عن اليهود أنهم في تاريخهم التجاري والاقتصادي معروفون بالربا وبالتعامل بالربا. لقد استطاعوا أن يوصلوا الربا إلى كل بيت، ناهيك عن كل قُطْرٍ من الأقطار العربية.

أ. تَبْغُونَهَا عِوَجاً

﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجاً وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ (آل عمران:٩٩) ويصدون أيضاً عن سبيل الله. الصد عن سبيل الله بعد أن عرفوا أن هذا الإسلام هو من دين الله فعلاً، وأن النبي محمداً (صلوات الله عليه وعلى آله) هو نبيٌّ مرسلٌ من الله، فهم يعرفون بأن هذا الدين هو دين الله، وهو سبيله؛ فلا بد أن يصدوا عنه! وفعلاً عملوا على أن يصدوا عنه وبمختلف الوسائل والأساليب.

لكنه هنا قال: **﴿وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾** ليس بغافل عن عملهم لا بد أن يكون قد وضع ما يمكن أن يحول بين المسلمين وبين ما يجعلهم متأثرين بالصَّدِّ عن سبيل الله الذي يصل من جانب اليهود، لكننا نغفل عن مثل هذه الأشياء.

ب. يعملون على نشر الكفر

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقاً مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ﴾ (آل عمران:١٠٠) **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾** أليس يخاطب المؤمنين أنفسهم؟ **﴿إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقاً مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ﴾** يعني أنهم يعملون بجد على أن يجعلونا كافرين بالله، وكافرين بدينه، سواء كافرين قولاً وجحوداً أو واقعاً.

فهم كانوا وراء الشيوعية كما عُرِفَ ذلك، وتقريباً كل من تحدث عن الشيوعية، وكل من كتب عن الشيوعية، كلهم يؤكدون بأن الشيوعية كان وراءَها اليهود.

ألم يعملوا من خلال الشيوعية على أن يجعلوا البشر كافرين ملحدين بالله سبحانه وتعالى؟ وانتشر هذا الكفر داخل البلاد الإسلامية، فكانت الأحزاب الشيوعية في كل بلد حتى في اليمن ووصلت الشيوعية إلى مناطق وبلدان كثيرة **﴿يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ﴾**.

هذا فيما يتعلق بتوجههم نحو الإضلال، ونحو الفساد، ونحو تلبيس الحق بالباطل كما قال عنهم: ﴿وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَاداً﴾ (المائدة:٦٤) نحو عملهم الجاد على أن يحولوا المسلمين إلى كافرين، هذا شيء مما حكاه الله سبحانه وتعالى عنهم.

ج. نشر الفساد الأخلاقي

هم من يعملون على نشر الفساد الأخلاقي في مختلف البلاد العربية، هم من دفعوا المرأة المسلمة، المرأة المحتشمة، والمرأة التي يُلزمها دينها وقيمها العربية أن تكون متأدبة ومحتشمة، وهي من أصبحت الآن تتبرج، وهي من أصبحت الآن تكشف شعرها وبدنها، هي من أصبحت الآن تزاحم الرجل في جميع مناحي الحياة بحجة مشاركتها في المجال السياسي.

الآن في اليمن يطعِّمون المكاتب بالنساء! هنا مدير وهنا سكرتيرة لتكون أجواء المكتب لطيفة، ولتكون أجواء المكتب كلها أجواء حب. ومتى سينصح هؤلاء لشعبهم وأجواء مكاتبهم كلها حب؟! يسرح الموظف من بيته وهو يحاول كيف يكون شكله مقبولاً أمام الموظفة، وأمام السكرتيرة، أو أمام امرأة أخرى تشاركه في مكتبه، يعملون الآن على أن تشارك المرأة الرجل في المكاتب، وفي الدوائر الحكومية، ويعتبرون أن هذه هي المشاركة الحقيقية للمرأة في الحياة.

٣. تركيز اليهود على الجانب الأخلاقي من خلال المرأة

وهم عندما يريدون أن نضل السبيل، هم كالشيطان يعرفون سبيل عزتنا ليصرفونا عنه، هم لا يغلطون، يعرفون سبيل الحق فيصرفوننا عنه، ويعرفون سبيل تنميتنا الحقيقية فيصرفوننا عنها، ويعرفون سبيل زكاء نفوسنا وسمو أرواحنا فيصرفوننا عنه، ويعرفون سبيل قوتنا في توحدنا فيصرفوننا عنها ﴿وَيُرِيدُونَ أَنْ تَضِلُّوا السَّبِيلَ﴾.

وهم يعلمون أن التركيز على الجانب الأخلاقي الذي وسيلته المرأة، والمرأة هي وسيلة سهلة، وسهل إفسادها، وعظيم جدّاً إفسادها أيضاً، لأنها تفسد بسهولة، وهي من تفسد الرجل بسهولة أيضاً. يركزون على المرأة لتفسد في نفسها من خلال ما تشاهد.

سياسة التضليل

﴿وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ﴾ يتمنون وبكل لهف وشوق أن يضلوكم ﴿وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ (آل عمران:٦٩) وعندما يكونون – كما قال الله تعالى عنهم – يودون، فمن الطبيعي أنهم عندما يمتلكون كل وسائل الإضلال أنهم سينطلقون إلى إضلالنا، فنحن هنا وجدنا فيما يتعلق بنموذج واحد من أنبيائهم أنه النموذج الذي لا يسير وراءه شبابنا، أو الكثير من شبابنا في البلاد العربية.

أوليس اليهود هم من يصنعون للشباب نماذج يتعلقون بهم في مجال الفن، وفي مختلف مجالات الألعاب الرياضية؟ تجد الشاب هو من يتعلق ببطل في الأرجنتين، أو في البرازيل، أو في أيَّة منطقة أخرى، وهو يتنكر لكل أعلام تاريخه، ولكل أعلام دينه، بل يتنكر للعظماء من أنبياء الله، فلا يلتفت إليهم، ولا يعمل على أن يتحلى بأخلاقهم، والله هو مَن أمره، وأمر بقية الشباب المسلمين، أمر الناس جميعاً أن يؤمنوا برسل الله كما في آخر (سورة البقرة): ﴿لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ﴾ (البقرة:٢٨٥).

لأن كل نبي من أنبياء الله هو عَلَمٌ من أعلامه، ويحتاج الناس إلى أن يقتبسوا من هديه، وأن يتأسوا به في مواقفه المشرفة، وفي مواقفه العظيمة، وكثير من أنبياء الله عُرضت لهم مواقف عظيمة جدّاً وهم مازالوا في مرحلة شبابهم، وفي فترة ريعان شبابهم كنبي الله موسى الذي تكررت قصته في القرآن الكريم كثيراً، كما

تكرر الحديث عن فرعون كثيراً أيضاً، وكما تكرر الحديث عن نبي إسرائيل؛ لأن فيه أسوة، وليقال لنا: هذا هو نبي اليهود، الذي يؤمنون به، وهو نبي من أنبياء الله لكنهم أصبحوا بعيدين عنه. فهل أنتم يا من آمنتم بموسى كما آمنتم بمحمد هل ستتركون محمداً، وتتركون موسى وعيسى وتسيرون وراء أولئك؟.

٤.اتباع سياسة التطويع والتفريق

﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقاً مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ**﴾ أليست هذه حالة رهيبة؟ يقلب الأمة، يقلب الناس من إيمان إلى كفر، ولن يكون فقط أنه مجرد التضليل الذي يصل بك إلى درجة الكفر من حيث لا تشعر، أو التضليل الذي يأتي من قبلهم وأنت لا تشعر أنه من قبلهم، ولو شعرت أنه من قِبَلهم لتمردت عليه.

هم يستطيعون أي اليهود أن يصلوا بالأمة إلى درجة أن تلمس أن هذا هو من قِبَلهم، وستنطلق في طاعتهم، وهم يستطيعون أن يصلوا بالأمة إلى أن تطيعهم هم، وهم بكامل مشاعرهم يعرفون أن هذا من قِبَل اليهود، أو أن هذا يهودي ويطيعونهم؛ ولهذا جاء بالضمير ﴿**إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقاً**﴾ تطيعوا فريقاً ﴿**مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ**﴾.

توحي الآية: بأن اليهود وهم دائماً في كل أعمالهم يلحظون جانب التكلفة؛ لأن المال لديهم عزيز، ينظرون إلى المال كسلاح مهم جدّاً، لكنه لديهم له مكانة كبيرة أيضاً، فهم معروفون بالبخل والحرص؛ لشدة نَهَمِهِم بالمال وجَشَعِهم عليه، فهم يلحظون أيضاً التكلفة في جانب التضليل، أن يضل الأمة وبتكلفة أقل، لا يريد أن يخسر كثيراً في تحويل الأمة إلى ضالة، لا يريد أن يخسر كثيراً وهو أيضاً يتحرك لضرب الأمة حتى ولو عسكريّاً. وهذا من الدهاء الشديد.

فما هي أقرب الوسائل إلى أن يجعلوا الناس كافرين بعد إيمانهم، وضالين بعد هداهم، ونفوسهم مسالمة بعد إبائهم؟ هو أن يصلوا بالمجتمع إلى درجة الطاعة.

من يتأمل في أعمال اليهود هم كانوا يلحظون هذا الجانب، يلحظ وبخطوات متأنية وخطط دقيقة، وحبة إلى أن يصل بالأمة إلى أن تطيعهم، بل أن يتحول الناس إلى دعاة لطاعتهم، وحينئذٍ لا يخسرون شيئاً. يردون الأمة بعد إيمانها كافرة، وبعد عزتها ذليلة، وبعد مَنَعَتِها مقهورة وبتكلفة أقل..

الله سبحانه وتعالى الذي نزل القرآن يعلم ما سيأتي في المستقبل على أيدي كثير من أعدائه، وبالذات اليهود ماذا سيعملون وكيف سيقدمون القضايا.

هو ذكر عن اليهود في (سورة البقرة) توجههم للتفريق، لديهم سياسة التفريق، وكان يهمهم من العلوم الهامة في عصر سليمان هو: أن يتعلموا ما يفرقون به بين المرء وزوجه! ذكر عنهم أيضاً: أنهم يفرقون بين الله ورسله وأنهم يفرقون بين رسله. لديهم سياسة التفريق هذه قائمة إلى الآن، وبرزت بشكل كبير في هذا العصر بما فيها هذه: التركيز لديهم على التفريق فيما بين الرجل والمرأة باعتبار هذا جنس وعالم وحده، وهذا جنس وعالم وحده؛ ليثيروا هذا العالم على هذا العالم الآخر وليحسسوا هذا العالم، عالم المرأة - كما يحاولون - أنه مستضعف ومضطهد وحقوقه يضيعها عالم الرجل. ويفرقون بين الإنسان وبين الله، بلغت المسألة حتى مع عملائهم وأصدقائهم من الحكام أن يعملوا على التفريق بينهم وبين شعوبهم، أليست سياسة قائمة إلى الآن؟

لخطورة هذه القضية: أن يترسخ لدى الرجل أنه عالم وحده ولدى المرأة أنها عالم وحدها وما سيترتب على هذا من سلبيات كبيرة ومن حالة صراع فيما بين الرجل والمرأة؛ أكد الله سبحانه وتعالى في أكثر من آية على الوحدةَ القائمةَ فيما بين

الرجل والمرأة: أنهم من نفس واحدة، وهذا من حكمة الله سبحانه وتعالى، يخلق آدم أولاً، ثم يخلق منه حواء زوجته، لم تخلق بطريقة أخرى مثلاً: أن يخلقها هناك كما خلق آدم من طين من صلصال، فإذا سويتها ونفخت فيها من روحي، لا يوجد، خلق آدم ثم جعل منه زوجته، هذه العبارة توحي ليس فقط أنه جعل من جنسه، منه فعلاً؛ لأنه ليس هناك أي معلومات أخرى بأن حواء خلقت وحدها بطريقة أخرى، بل خلق منها زوجها، وجعل منها زوجها أي: جعل من هذه النفس التي هي آدم زوجها.

أ. يعملون على إبعاد الناس عن أخلاق دينهم

لذلك يسعون أولاً إلى نشر الفساد الأخلاقي، والفساد الثقافي، ونشر ما يخلق فرقة في أوساط الناس، وما يبعدهم عن دينهم، وما يشككهم في مبادئه، وما يشككهم في كتابه، وفي نبيه، وهكذا حتى يهيئونا لأن يضربونا بسهولة، ومتى ما ضربونا نكون قابلين لأن نُهزم أمامهم؛ لهذا تجد أن الإسلام هو الدين الوحيد في هذه المعمورة الذي يحاربه الأعداء من اليهود والنصارى.

ب. ويسعون في الأرض فساداً

والشيء نفسه بالنسبة لأمريكا وإسرائيل، بالنسبة لليهود والنصارى استطاعوا أن يهيمنوا هيمنة يفسدون فيها في كل مجال كما حكى الله عنهم في القرآن: ﴿**وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَاداً**﴾(المائدة٣٣) فأصبح من الخطورة بمكان أن الفساد الذي يحصل في هذه المحلة أو في تلك المحلة أو في هذا البيت أو في ذلك البيت لم تعد معصية محدودة في إطارك فقط، بل أصبحت تخدم أمريكا وإسرائيل، وتخدم المجرمين من هؤلاء، واليهود والنصارى. ومعنى هذا بأن تصبح الجريمة كبيرة، وتصبح الجريمة كبيرة.

الفصل الثالث

مجالات الصراع مع أهل الكتاب

١.وجوب وقوف المسلمين الموقف القرآني من أهل الكتاب

إذاً فليمسك كل إنسان على أن الله قال: ﴿مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ (البقرة:١٠٥) يعمل مشاريع، ويعمل ما يريد، لكن موقفي هو موقفي منه، الموقف القرآني ويكون موقفك منه، استفِدْ مما يقدم من خدمات، وابقَ في تعاملك معه التعامل القرآني، واتركه في الأخير، سواء أراد أن يعتبر نفسه "متجملاً" أم يندم، المهم أن يروا في الناس بأن ما قدموه - وهو بالتأكيد إن ما قدموه عبارة عن طُعْمٍ كما يقدِّم الصيادُ للسمكة قطعة لحم - يرون بأنه لا ينفع عند هذه الأمة ولن يقول لك في الأخير: إذا لم يقبل عندكم نحن نريد وجه الله الباري سيكتب أجرنا، وهم ليسوا حول هذه، يعرفون أن هذه الأمة لا تُخدع بما يقدَّم لها أبداً، وإلا فسيكون الناس أغبى من السمكة في البحر، التي تظن أن ذلك الصياد فاعل خير، نزَّل لها قطعة لحم، وأنه جاء من البيت قاصداً وقد ترك شغله وعمله ليقدم للسمكة قطعة لحم، والسمكة لا تدري أنه يريد أن يأكلها هي بكلها بواسطة قطعة اللحم تلك؛ إذاً ألـم يستفد أكثر مما قدم الصياد؟ ألـم يستفد أكثر مما قدم؟ فكل أعمالهم إذاً لا تخرج عن هذا المثل وهو قطعة لحم يستفيد بدلها كيلو أو اثنين كيلو أو أكثر على حسب حجم السمكة وغبائها.

أ. عندما يثق الناس بالله فلن يستطيع اليهود أن يخدعوهم

وعندما يكونون على هذا النحو والناس لديهم ثقة بالله سبحانه وتعالى ولديهم توكل على الله؛ فلن يستطيعوا أن يحولوا بينهم وبين ما يريد الله أن يحصلوا عليه من خير ﴿وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ (البقرة:١٠٥) وهذا الهدى هو خيرات الدنيا،

وهو نعيم الآخرة على الرغم مما لديهم من حقد مما لديهم من ود ألاَّ يكون هناك أي خير للآخرين، فلن يستطيعوا أن يحولوا بين الناس وبين الخير الذي يريده الله سبحانه وتعالى لهم وبين الخير الذي سيحصلون عليه ويعطيهم الله من خلال تمسكهم بهديه.

وهذه الآية على أساس أن الله سبحانه وتعالى جعل القرآن الكريم هدى بالشكل الذي يجعل الإنسان ويجعل المجتمع (الأمة) التي تسير عليه لا يصبح ضحية لا للتضليل ولا للخداع، ولن يقع في إشكالية، ولن يوقعه العدو في مشكلة، لا يستطيع أبداً عندما يقول الله: ﴿مَا يَوَدُّ﴾ أليس هذا يعني بأنه عندما يتمكن من لديه هذه الروحية سيعمل على ألاَّ يصيبك أي خير.

ب. أمثلة على أنهم لا يودون لنا أي خير

عندما تستعرض ما يقدمونه من مساعدات، تستعرض أشياء أخرى لا يريدون لهذه الأمة للعرب – مثلاً – المسلمين بشكل عام أن يحصلوا على خبرات علمية عالية. فعندما أصبح العراق لديه نسبة لا بأس بها العلماء والخبراء، عملوا على ضربه. وكان الهدف الاساسي، ليس في إزاحة [صدام] كحاكم طاغي أو نظام صدام كنظام طاغوتي، وإنما القضاء على أولئك العلماء والخبراء. لذلك ما كان أول ما يسألون عنه هم العلماء العراقيين والخبراء، وتفتيش الكليات، والمعامل، وتفتيش حتى المساجد، والحرص على الحصول على قوائم بالعلماء.

ألم تعمل أمريكا وإسرائيل على القضاء على الخبرات العلمية التي كانت قد وجدت في العراق وعملوا على قتل العلماء والمهندسين هناك وكان هذا أبرز أهدافهم لاحتلال العراق لأنهم حريصون جداً ألاَّ تحصل هذه الأمة على خبرات

عالية لا تصبح دولاً مصنعة مع أنها تمتلك ثروات هائلة، بل تبقى سوقاً استهلاكية، وتبقى الثروات الرهيبة الكبيرة جدّاً التي تربض عليها هذه الشعوب وتكون كلها مصلحة للغربيين وإلا فبلدان مثل السعودية ودول الخليج والعراق كانت مؤهلة باعتبار ثرواتها أن تصل إلى مثل اليابان وليس فقط مثل كوريا، وكل شعوب هذه المنطقة كان المفترض أن تكون هي أرقى بكثير مما وصلت إليه أمريكا، يحاولون أن لاَّ تنشأ كفاءات علمية، وإذا ما حصل أحد على خبرة معينة يحاولون أن يحتووه، وإلاَّ قتلوه وكم حصل من اغتيالات لخبراء وعلماء.

إذاً هم ما يودون على الإطلاق أن يحصل لهذه الأمة خير ولا أن تحصل على خير ولا أن تنهض ولا يزال المغفلون منا يأتون ليقولوا نلحق بركاب الغرب، الغرب هو يركلك، وهؤلاء لا يريدون أن تلحق بهم، يحاولون أن يدمروا أيَّة خبرة تصل إليها، ابنِ نفسك هنا، واعرف كيف تبني نفسك، متى ما بنوا أنفسهم كأمة تتجرد تماماً عن التبعية وتتحرر تماماً منها. ويصبح قرارهم بأيديهم يستطيعون أن يحصلوا على خبرات لا سيما وأن الخبرات الآن قد أصبحت منتشرة وليست فقط حكراً على بلدان معينة حتى يستطيع اليهود أن يحولوا بين الناس وبين الحصول عليها. والمثل على ذلك أن إيران استطاعت أن تأخذ خبرات من الصين ومن كوريا ومن بلدان أخرى.

٢.الإسلام يريد لأتباعه التفوق على غيرهم

إذاً فليست القضية أنك تريد أن تلحق، بل هو يريد أن تفوق الآخرين، ابنِ نفسك هنا، على الناس أن يبنوا أنفسهم وأن يعرفوا أن أولئك لا يودون أي خير لهم، وعندما ترسل دارسين إلى هناك أي إلى الغرب في علوم العصر، تجد أن في هذه العلوم المهمة نوابغ من الطلاب برزوا يحاولون أن يحتوونهم هناك ويشتغلون

عندهم، فهناك آلاف من الخبراء والعلماء العرب والمسلمون في كندا وفي أمريكا وفي بلدان أخرى لأنه لا يوجد هنا حكومات تحتضن الكفاءات، ولا يوجد هنا حكام حريصون جدّاً على هذه الأمة أن يبنوها!

قالوا كان اليابانيون يرسلون طلاباً منحاً دراسية، ويرسلونه من اليابان ويعطونه اهتماماً كبيراً جدّاً لا يسير إلا وقد صار معباً يشعر بالمسؤولية أن يعود ليبني وطنه: "أنت تدرس الآن في بلدٍ هم أعداؤك هم الذين دمروا حضارتنا هم الذين ضربونا بأرقى ما توصلوا إليه يجب أن تبذل جهودك" ويختارون طلاباً نوابغ، ويعطونهم إمكانيات كبيرة، ويدرسونهم في أرقى المراكز العلمية، يعودون وقد فاقوا الأمريكيين، فعلاً وهم الذين كانوا قد دمروا في (الحرب العالمية الثانية) لماذا؟ لأن هناك أمة، وهناك قيادات تهتم بالناس، وتهتم ببناء شعوبها.

أ. هذه تعطينا رؤية تجعل كل إنسان حذراً

فهذه الآية إذاً تعطينا رؤية تجعل كل إنسان حذراً فعلاً أمام تضليل أهل الكتاب وهم الآن يستخدمون طريقة الخداع للشعوب بأنهم يريدون أن يبنوها ويريدون أن يساعدوها ويريدون أن يقدموا لها خدمات وأشياء من هذه، وكلها خداع وتضليل؛ لهذا خلقت وعياً لدى الإنسان بأن يجب عليه أن يكون معتقداً له عقيدة؛ لأن الله قدم المسألة وأنت كإنسان مسلم يجب عليك أن تعتقد صدق الله فيما أخبر به، ويجب عليَّ أن أكون معتقداً: أن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين ما يودون أن ينزل علينا أي خير، فهذه قاعدة تعطي وعياً، وقاعدة دائمة وثابتة وقريبة التناول لكل إنسان، وتشكل حصانة أمام خداعهم وتضليلهم.

فنلاحظ من خلال واقعنا الآن ومن خلال الآية الكريمة هذه كيف كانت الخسارة الكبيرة وربما كنا نحن هذا الجيل من المسلمين ضحية عدم اهتمام الأولين بهذا القرآن وبأن ينظروا من خلاله إلى الواقع مع أن الإمام، الإمام علي في زمانه قال كلمة جميلة جدّاً تعطي اهتماماً كبيراً بالقرآن بأن يكون هو المقياس للإنسان وهو يقيِّم الواقع وينظر إلى المستقبل وإلى الماضي والحاضر والمستقبل من خلاله: ﴿**كِتَابُ اللَّهِ تُبْصِرُونَ بِهِ، وَتَنْطِقُونَ بِهِ، وَتَسْمَعُونَ بِهِ**﴾. والبعض منا الآن يقول مثلاً: ليس الوقت مناسباً أن يكون للناس عمل يقوم على أساس مواجهة، توجه أهل الكتاب ضد هذه الأمة وضد المسلمين وضد دينهم وأوطانهم وثرواتهم ومقدساتهم قد يقول بعضهم: " ليس الوقت مناسباً أو ليس الآن"! الآية هذه تفرض على من كان قبلنا بأربعمائة سنة أو من كان قبلنا بخمسمائة سنة أنهم عندما يرون بدايات مؤشرات النهوض في أوروبا أن يكونوا مهتمين جدّاً ببناء الإنسان المسلم وبأن لا يتجاوزهم الإنسان الغربي معظمهم هناك من أهل الكتاب ألاَّ يتجاوزوهم.

لأن هذه الآية تقول لك أو تعطيك في الأخير معرفة بأن أولئك فعلاً عندما ينهضون وهم لا يودون لي أي خير ماذا سيعملون؟ سيتجهون إليك بكل ما لديهم من شر؛ لأن معنى هذا هم أعداء، لا يودون لك أي خير وهو عدو لك، فما هو الشيء الذي يريد العدو أن يعمله بك؟ هو الشر هو الضر أن يحولوا بينك وبين أي خير يمكن أن تناله، فكان من واجب مَن قبلنا بخمسمائة سنة أول ما بدأت مؤشرات النهوض الصناعي في أوروبا كانت أشياء بسيطة من قبل أن تكتشف أمريكا، أليس المسلمون الآن يعانون من أمريكا ونحن كنا نمتلك دولة نحن قبل أن تكتشف أمريكا، وهذا الكتاب بين أيدينا من قبل أن تكتشف أمريكا

كقارة ويتوافد إليها الأوروبيون ويبتنوا ويصبحوا الآن يشكلون هذه الخطورة الكبيرة.

ب. الآية تعطي رؤية مستقبلية

هذه الآية تعطي نظرة مستقبلية إذا كنت تفهم القرآن وكنت تمتلك دولة أن تحاول وبأيَّة طريقة أن تحصل على خبرات حتى لا يتجاوزك أولئك الذين لا يودون لك ولا لكل إنسان في هذه الأمة أي خير، أولئك الذين سيستخدمون قوتهم لضربك أنت، عندما انشغل الناس بعلوم أخرى وهو يريد أن يستنبط من القرآن ما هو الاستنباط؟! لماذا لم تستنبط من قبل لتعرف كيف تتعامل مع واقعك وكيف تعمل ضمانات لمستقبل هذه الأمة فتحاول أن تمتلك ما امتلكه الآخرون وبأيَّة طريقة تحصل عليها.

ج. الاهتمام لدى الإسرائيليين

كم استمر الإسرائيليون يحاولون أن يحصلوا على نموذج من الطائرة الروسية أول ما صنعوها "ميج ٢١" ويقتلون أول طيار عراقي وثاني طيار عراقي وثالث طيار استطاعوا بمبالغ كبيرة وإغراءات كثيرة يشجعونه على أن يهرب بطائرة إلى داخل إسرائيل ليعرفوا مكونات هذه الطائرة وكيف يصنعون مثلها أو نماذج تفوقها، ألم يعملوا بكل وسيلة؟

إذاً ألم تكن خسارة كبيرة جدّاً لأننا لم نعمل بالقرآن؟ ألم نصبح نحن الضحية نحن هذا الجيل نفسه؟ أصبحنا الضحية، وأصبح الجيل من الأمة هو الضحية؛ بسبب تقصير السابقين، وانحراف ثقافتهم في معظمها فعلاً سنة وشيعة تتمثل كلها في أنهم ابتعدوا عن القرآن الكريم.

لا بد أن نعرف أيضاً بالنسبة لنا أن واقع الناس تقريباً وصل إلى ما وصل إليه اليهود في خسارتهم التي عرضها الله في القرآن الكريم بسبب أنهم أعرضوا عن قوله: ﴿خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ﴾ (البقرة:٦٣) لم نأخذ ما آتانا الله بقوة؛ فأصبحت النتيجة هي الخسران المبين.

٣. يود كثير من أهل الكتاب أن يضلوا المؤمنين

﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّاراً﴾ (البقرة:١٠٩) هنا يذكِّر بخطورة أخرى من مخاطر بني إسرائيل بالنسبة للأمة وبالنسبة للمسلمين: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ﴾ الود معناه: الرغبة والميل إلى هذا الشيء رغبة بميل ﴿لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّاراً﴾ قد صرتم مؤمنين ولايزال لديهم رغبة شديدة وميلاً إلى أن يردوكم كفاراً ﴿حَسَداً مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ﴾(البقرة:١٠٩) يعرفون قيمة الدين وأهمية الدين وما يقدمه للناس فحسدوا الناس على هذا حسداً من عند أنفسهم ﴿مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ﴾ (البقرة:١٠٩) يعني: أنهم في حركتهم لا ينطلقون على أساس أن هناك باطلاً يريدون أن يحاربوه وأن يقدموا حقّاً من لديهم بل هم يفضحون أنفسهم في هذا الموضوع، أليسوا هم يقدمون أشياء باطلة في محاربة هذا الشيء، هي باطلة في كتبهم، وهي باطلة في شريعتهم؟

ألا يعملون على نشر الفساد الأخلاقي؟ هل هذا عمل أناس يسعون لإزاحة باطل والإتيان بحق، أبداً هو عمل أناس حاسدين وحاقدين ويعتبرون ما أمامهم ما لديهم هو حق أبداً أي وسيلة ليحاربوا إلا وهي وسيلة باطلة فيستخدمون

وسائل هم يعرفون بأنها باطلة حتى في شريعتهم: المخدرات ونشرها الفساد في الأرض ونشر الأمراض، والفساد بمختلف الوسائل: الفساد الأخلاقي بإفساد الإنسان، وإبعاده عن الله، وأن يصلوا به إلى الشرك، وأن يصير مشركاً أو يصير ملحداً، بل قالوا: هم كانوا وراء الشيوعية، وهم الفلسفة التي تجعل الإنسان ملحداً منكراً لله منبعها من عندهم، فهل هذا من شريعتهم؟ هل هذا هو من الحق الذي لديهم في مقاومة الباطل الآخر؟! لا.

أ. يشترون الضلالة ويريدون أن تضلوا

وفي قوله سبحانه وتعالى ﴿**أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيباً مِنَ الْكِتَابِ**﴾ يعني: قد أوتوا نصيباً من الكتاب ومع هذا تجدهم ﴿**يَشْتَرُونَ الضَّلالَةَ**﴾ ويبيع الكتاب ويشتري به ضلالة، ويستبدل ضلالة، إن هذه في حد ذاتها مما يثير الغرابة والعجب منهم؛ لأنهم أوتوا نصيباً من الكتاب وكان المفروض أن هذا الكتاب يترك أثره الطيب فيهم لكن تجد فيهم نفسيات أخرى وتعاملاً مع الكتاب تعاملاً آخر حتى أصبحوا يشترون به ضلالاً ومن يشترِ ضلالاً فلن يصدر منه إلاَّ ضلال.

﴿**وَيُرِيدُونَ أَنْ تَضِلُّوا السَّبِيلَ**﴾ (النساء:٤٤) من هم هؤلاء الذين أوتوا نصيباً من الكتاب؟ أليسوا هم اليهود والنصارى؟ هذه ترد على من يقولون: هم أهل ديانات سماوية! يقول لك: هم أهل كتاب لكن لاحظ كيف طريقتهم، هم أهل كتاب لكن هكذا تعاملهم مع الكتاب اشتروا به ثمناً قليلاً واستبدلوا به ضلالاً، ثم تحركوا ليصدروا ضلالاً ﴿**وَيُرِيدُونَ أَنْ تَضِلُّوا السَّبِيلَ**﴾ (النساء:٤٤) يعني: أن تنظر إليهم؛ بأنهم وإن كانوا أهل كتاب أن لديهم ضلالاً ولن يعطوا الناس إلاَّ

ضلالاً ويريدون أن يضل الناس في كل سبيل ﴿وَيُرِيدُونَ أَنْ تَضِلُّوا السَّبِيلَ﴾ سبيل الحق في مجال هدى الله، وفي المجال الثقافي، وفي سبيل عزتكم، وسبيل نموكم الاقتصادي، وسبيل تطوركم، وسبيل وحدة كلمتكم، وكل السبل الصحيحة. يريدون أن نضل كذا، وننصرف إلى ما هو ضلال وإلى ما هو ضياع.

ب. هم يريدون والإنسان الذي يريد سيفعل ما يتمكن من تنفيذه

فيجب أن نفهم أن المسألة لديهم: أنهم يريدون، والإنسان الذي يريد شيئاً عندما يتمكن من تنفيذه ينفذه، أليس هذا شيئاً حاصلاً؟ عندما تراهم متمكنين إعلاميّاً وماديّاً ومتمكنين سياسيّاً ونافذين فافهم بأن كل ما سيعملونه هو: أن يعملوا ما يريدونه، وهو أن تضلوا السبيل، وكلمة ضلال مثلما قلنا: يجب أن نفهمها على معناها اللغوي وعلى معناها العربي ونترك المصطلحات الأخرى، والضلال معناه: الضياع، وانظر إلى ما يريد الله أن يكون الناس عليه وإلى ما يريد لهم من خلال القرآن الكريم، تجد أنه يريد لهم أن يكونوا هم الأعلون وهم الأعزاء، وهم الأقوياء وهم... يعني: في كل مجال، الهدى له علاقة بكل المجالات التي هي خير للإنسان، فالضلال معناه: ضياع هذه كلها، والضياع في كل مجال من مجالات الخير للناس عندما يقدم مشاريع معينة يجب أن تنظر إليها على هذا النحو: أنه يريد أن تضل السبيل الصحيح في النظرة إليها وفي التعامل معها وعندما يقدم لك مشروعاً على أساس أن تقول: "هذا فاعل خير، وناس طيبون وهم - والله - أحسن منا، وهم كذا، كذا... إلى آخره"، وهنا ضللْتَ السبيل الذي يجب أن تنظر إليه هذه النظرة الحقيقية، النظرة التي هو عليها لتعرف واقعه ولتعرف كيف تتعامل معه على أساس واقعه.

فيمكن أن يضلك سواء بكلمة جميلة أو بشيء يقدمه بخدمات يقدمها لك وهو يعلم ويحسب حسابات؛ لأنهم بخلاء ويجب أن نعرف أنهم بخلاء والبخيل لا يقدم شيئاً إلاَّ وقد حسب ألف حساب لعائداته عليه، لا تتصور أنهم أمة عندهم روح الكرم

مثل العرب، والعرب معروفون بالكرم وبالسخاء كقضية ثابتة لديهم أو عند معظمهم، أما اليهود فهم بخلاء. فعلاً والبخيل لا يقدم شيئاً إلا وقد حسب ألف حساب، لا يكون عطاؤه على أساس أنه كريم وسخي، وكيفما كان سواء استفاد أو لم يستفد؛ لأنه هنا يعتقد أنه ذكي.

ج. لا بد أن يشعرهم المؤمنون بأنهم أذكياء

إن واجب المؤمنين أن يشعروهم أنهم أذكياء، وأننا أذكياء، وأننا نعرف واقعهم؛ لأنه يعتبر نفسه ذكيّاً من كل الجهات، بأنه قدم مشروعاً، وهو عارف أنه سيخدعهم بهذا، ويجعلهم ينظرون إلينا نظرة جيدة، ويمكن لنا أن نحتل بلادهم ونهيمن على ثرواتهم، وسنأخذ أضعاف أضعاف مثل هذا المشروع، بل سنستغل هذا المشروع لنا نحن لصالحنا سواء كان مشروعاً صحيّاً أو مشروعاً تربويّاً وفي الأخير نكون قد خدعناهم ولم نخسر شيئاً، أليس هذا ذكاءً صدر من عندهم؟ ولهذا قلنا: إنهم ربما قد يكونون يضحكون فعلاً بعد كل خطط يعملونها ويجدونها نجحت ويلمسون أن الناس تأثروا بها، وأنهم سيضحكون، ويعتبرون أنفسهم أذكياء، ويعتبرون أنفسهم نوابغ، ويعتبرون أنفسهم محنكين.

فوجَّه المسلمين أن يشعروهم بما يحبط كل هذه الأشياء في أنفسهم بما يجعلهم ينهزمون نفسيّاً بما يحسسهم أن الآخرين ما خُدعوا بهم وأنهم يعرفون واقعهم، على الرغم من كل ما عملوا وكل ما حاولوا أن يعملوه للناس.

د. قدم في القرآن كيف يكون موضوع الضلال

وفي موضوع الضلال قدّم للناس في القرآن الكريم كيف يكون الضلال، وأن الضلال عادة يحتاج أن يتقمص ثوب النصيحة والخير والحق وأشياء من هذه،

أليس هذا شيئاً واضحاً في القرآن تحدث عنه أكثر من مرة؟ وأنه قضية مهمة جدّاً: أن نعرف كيف يتم الضلال حتى لا تبدو القضية عندك توجد لديك ارتياباً واضطراباً عندما تراهم يقدمون مشروعاً معيناً أو كلاماً يبدو أنه كلام جميل، وأنت اعرف أن الضلال يعمل هكذا، ليس هناك أحد غبي من المضلين يقول: أنا أريد أن أهلكك وأنا أريد أدمرك وأنا أريد في هذا المشروع أن أخدعك من أجل أن أحتل بلادك، هل يمكن أن يقول هكذا؟ بل سيقول: خدمة إنسانية وتعاون مع المجتمع وتنمية المجتمع وأشياء من هذه، الله يقول: ﴿**وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ**﴾ (النساء:٤٥) إذاً فلنثق به هو أعلم بهم، وهو قدم لنا ما يريدون، وهذا من أدق الأشياء، من أدق الأشياء أن يقدم لك ما يريدون عندما يقول: ﴿**وَيُرِيدُونَ أَنْ تَضِلُّوا السَّبِيلَ**﴾ (النساء:٤٤) أعتبره تقريراً شاملاً عن هذا العدو، بمعنى أن كل تحركاته ستكون بأن يضيِّع هذه الأمة بأن يضيِّع الناس، ويجعل الأمة منحطة، وأمة متلاشية، وأمة متخلفة، أمة لا تقوم لها قائمة.

هـ. وكفى بالله وليّاً وكفى بالله نصيراً

لاحظ كيف يقدم هنا معلومات وافية وفي الوقت نفسه يقول: يجب على الناس أن يعتمدوا عليه وأن يلتجئوا إليه وأن يهتدوا بهديه وأن يتولوه وينتصروا به ﴿**وَكَفَى بِاللَّهِ وَلِيّاً وَكَفَى بِاللَّهِ نَصِيراً * مِنَ الَّذِينَ هَادُوا**﴾ (النساء:٤٥، ٤٦) ﴿**وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ**﴾ (النساء:٤٥) ﴿**مِنَ الَّذِينَ هَادُوا**﴾ (النساء:٤٦)، فلأهمية الموضوع هذا مظهر من مظاهر رحمة الله سبحانه وتعالى أن يبادر إلى أن يشعر الناس بأنه هو وليهم فلينتصروا به وكفى به وليّاً وكفى به نصيراً، يأتي بها داخل الكلام نفسه ما بين كلمة أعدائكم، ومن الذين هادوا، أليس أصل الكلمة هكذا ﴿**وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ... مِنَ الَّذِينَ هَادُوا**﴾؟ أن تأتي في هذا المقام للأهمية وفي الوقت نفسه أن

تعلم أنه ولي وناصر من الأعداء الذين هو يعلمهم وهو ولي وناصر يكفيكهم إذا سار الناس على هديه وتولوه وانتصروا به واعتصموا به.

﴿**وَكَفَى بِاللهِ وَلِيّاً**﴾ (النساء:٤٥) لا تبحثوا عن غيره، هنا عندما يقدّم لك وليّاً وكافياً فلتتجهوا إليه، لستم بحاجة إلى أن تتجهوا إلى أيِّ أطراف أخرى، أن تبحثوا عن الصين أو تبحثوا عن روسيا أو تبحثوا عن أيَّة جهة مثلما يعمل العرب الآن، اتجِهوا إليه واكتفُوا به وليّاً لكم وناصراً لكم ﴿**مِنَ الَّذِينَ هَادُوا**﴾ ﴿**وَاللهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ... مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ**﴾(النساء:٤٥، ٤٦).

٤. يؤمن أهل الكتاب بالجبت والطواغيت

يقول الله سبحانه وتعالى ﴿**أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيباً مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ**﴾ (النساء:٥٠) لاحظ هذه الآية، مثلما قلنا سابقاً عندما يقول: ﴿**الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيباً مِنَ الْكِتَابِ**﴾ وتعرف كتب الله من خلال معرفتك بالقرآن نفسه؛ لأن كتب الله تكون هدىً ورحمةً وبياناً وموعظةً ونوراً وشفاءً، ومع هذا تجد كيف أصبحوا؛ لأنهم ابتعدوا عنها، وحرفوها، وسلكوا طريقة أخرى ﴿**أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيباً مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ**﴾ **أليست كتب الله مما يهدي الناس ليبتعدوا عن الجبت والطاغوت؟ وبدلاً من أن يؤمنوا بكتاب الله ويؤمنوا برسوله، يؤمنون بالجبت والطاغوت؛ لأن طريقتهم هكذا:** ﴿**يَشْتَرُونَ الضَّلالَةَ**﴾ (النساء:٤٤)كما قال في الآية السابقة.

لا يوجد لديهم إيمان فيما يسمى بالعدل وقيم عدالة وأشياء من هذه التي يرفعونها شعارات، تجد أنهم يرفعون هذه الشعارات وهم في الوقت نفسه يتدخلون في شؤون هذه الشعوب، ويضعون عليها حكاماً طواغيت، مؤمنون

بالجبت والطاغوت ويعمل "طواغيت"، من أجل أن تتحقق له أهدافه، فمَن هم مؤمنون بالجبت والطاغوت لا يمكن أن يبحثوا عن عدلٍ للناس وأنظمةٍ عادلةٍ للناس ونظامٍ عادلٍ للناس على الإطلاق، ولا أشخاص عادلين، هذه قضية مثلما قال عنهم سابقاً: ﴿**يَشْتَرُونَ الضَّلالَةَ وَيُرِيدُونَ أَنْ تَضِلُّوا السَّبِيلَ**﴾ (النساء:٤٤) فمن هو مُشْتَرِي للضلالة فلا يمكن أن يريد للناس الحق والصواب وهو نفسه يبحث عن الضلال بحثاً، هو فقط سيقدم ضلالاً، وهنا سيقدم جبتاً وطاغوتاً سواء داخلي أم خارجي.

أ. يقفون في صف الطواغيت

﴿**وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلاً**﴾ (النساء:٥٠) لاحظ كيف أن هذه العبارة سيئة جدّاً؛ قالوها للمشركين عندما سألهم الكافرون: من أهدى نحن أم محمد؟ كانوا يحاولون أن يستثيروهم على رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله)، قالوا: بل أنتم أهدى! وهم يعرفون بأن هؤلاء مشركون يعبدون أصناماً ويعرفون أنهم ضالون وأن محمداً (صلوات الله عليه وعلى آله) أهدى منهم، لو لم يكن إلا في هذه النقطة: في توحيده لله، ومع هذا يقولون للمشركين: أنتم أهدى من محمد، أليس هذا إيماناً بالجبت والطاغوت؟

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ﴾؛ لأن هذه قضية كبيرة ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَنْ يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصِيراً﴾ (النساء:٥٢) من يلعنه الله، ومن ينزل عليه لعنته فلن تجد له نصيراً، ألم يُضْرَبوا فعلاً من قالوا هذا؟ اليهود ضُرِبُوا في أيام رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) هم ومن قالوا بأنهم أهدى من محمد (صلوات الله عليه وعلى آله)، وهذه القضية تكشف لنا بأنهم لا يراعون أيَّ شيء، يعني أن عندهم قاعدة يسمونها: (الغاية تبرر الوسيلة) أي أن عندهم هدف معين سيسلكون أيَّة طريقة كيفما

كانت حتى ولو بأن قالوا لمشركين يعرفون أنهم ضالون ومشركون ولو قالوا أنتم أهدى من محمد، أليس هذا يعني: بأنهم لا يراعون أيَّة قيم على الإطلاق؟ ولا يراعون أيَّة قيم ولا مبادئ ولا أيَّ شيء في سبيل تحقيق أهدافهم. الذين يكونون على هذا النحو لا تتوقع منهم أن يقدموا قِيَماً جيدة، وأن يأتوا ببدائل جيدة على الإطلاق.

﴿أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنَ الْمُلْكِ فَإِذاً لا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيراً﴾ (النساء:٥٣) فهم بخلاء دائماً، وعندما يكون لهم نصيب من الملك، وحصلت لديهم سيطرة، ودولة فلن يعطوا الآخرين شيئاً منها.

فقد ظهرت هذه في تعاملهم مع الفلسطينيين، كم قد لعبوا بالفلسطينيين يَعِدُونهم بأنهم سيعطونهم حكماً ذاتيّاً ودولة مستقلة وسلطة فلسطينية، وهي كذب، إذاً **﴿لا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيراً﴾** والنقير: كأنه الحبة التي تكون في طرف عجمه التمر (النواة)، تلك الحبة الصغيرة، أقل قليل لا يعطونه، وهذا واضح في تعاملهم مع الفلسطينيين، أليست قضيتهم الان واضحة أمام الناس؟ كم مضى عليهم وهم متفاوضون معهم ومُتَوِّهون ومماطلون لهم؟ لقد مرَّت عليهم منذ سنين وهم موعِدُون مثلما تقول بـ(خبز الشمس) لم يعطوهم شيئاً، ولو أنهم يرجعون إلى القرآن الكريم لعرفوا بأن هؤلاء لا يمكن أن يعطونا شيئاً من جهة أنفسهم، إلا بأن نأخذ نحن حقنا بالقوة وأن نحرر أوطاننا منهم، فاذا لم تقم رؤية الناس على هذا الأساس فستحصل أشياء عملية سيئة.

ب. يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ

وقول الله سبحانه وتعالى **﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكاً عَظِيماً﴾** (النساء:٥٤) يعني: هذه النفسية السابقة التي قال عنها: **﴿يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ﴾**(النساء:٥١) و**﴿يَشْتَرُونَ الضَّلالَةَ﴾**(النساء:٤٤) **﴿وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ**

آمَنُوا سَبِيلاً﴾ (النساء:٥١)، هؤلاء هم هكذا: لو أنَّ المُلْكَ لهم لن يؤتوا الناس نقيراً، بل هم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله **﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ﴾** بمعنى: بل هم يحسدون الناس **﴿عَلَى مَا آتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾** لأن هذا الدين، القرآن الكريم والرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) يعتبر نعمة كبيرة جدّاً؛ ولهذا الله يذكِّر الناس بالقرآن بأنه نعمة كبيرة ويذكِّرهم بالنبي (صلوات الله عليه وعلى آله) وبأنه نعمة كبيرة **﴿لَقَدْ مَنَّ اللهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾** (آل عمران:١٦٤).

وأهل الكتاب هم يعرفون في تاريخهم قيمة الدين، وقيمة الحق، وكيف أنه يبني أمة تكون على أرقى مستوى تكون أقوى أمة، أصبحوا حاسدين، فهم ما أصبحوا حاسدين إلاَّ لأن الناس أوتوا شيئاً صحيحاً وأوتوا شيئاً يعتبر بالنسبة لهم نعمة كبيرة، وفي الوقت نفسه يقولون لماذا لم يكن النبي منهم - كما يقولون - لماذا لم يأتِ النبي منهم، هذه المقولة هم يقولونها، لكن قد جاء أنبياء منهم **﴿فَرِيقاً كَذَّبُوا وَفَرِيقاً يَقْتُلُونَ﴾** (المائدة:٧٠). وهنا يقدم المسألة: الملك، والفضل بيد الله وقد أعطاهم من قبل، وهم الذين تخلوا، وهم الذين أصبحوا يتعاملون مع أنبياء الله بالتكذيب والقتل، ويتعاملون مع كتب الله بالتحريف، ويشترون بها الضلالة، ويشترون بها ثمناً قليلاً، فالفضل هو لله هو بيد الله والملك هو لله والأمر والحكم هو لله سبحانه وتعالى يؤتيه من يشاء **﴿فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكاً عَظِيماً * فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ وَكَفَى بِجَهَنَّمَ سَعِيراً﴾** (النساء:٥٤،٥٥) عندما يقول: **﴿فَقَدْ آتَيْنَا﴾** يعني: أن الملك له والأمر والنهي والحكم له.

٥. بنو اسرائيل يتصفون بالقسوة

﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ (البقرة:٧٤) بعد هذه الحادثة التي كانت هي في حد ذاتها آية من آيات الله، توجد عندهم على أقل تقدير نموذجاً لقضية البعث يوم القيامة ﴿كَذَلِكَ يُحْيِي اللهُ الْمَوْتَى﴾ (البقرة:٧٣) فيتذكر؛ لأن هذه كانت - قضية اليوم الآخر - من القضايا الأولى التي حذر منها بني إسرائيل، ومنها في الآيات الأولى قوله: ﴿وَاتَّقُوا يَوْماً لا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئاً وَلا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلا هُمْ يُنْصَرُونَ﴾ (البقرة:٤٨) ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾ (البقرة:٧٤) وهذا يكون أثراً طبيعيّاً من الآثار السيئة التي تكون عند الناس سواء أفراداً أو مجتمعاً أو أمة بكلها، إذا ما حصلت هناك استجابة لله سبحانه وتعالى، وعمل بهديه، وتفاعل مع ما يُهْدَوْنَ إليه، فيكون البديل قسوة في القلوب، تقسو، متى ما قسا القلب فإنه لا يتأثر بالمواعظ، ولا يستجيب، وينتج عن قسوة القلب هذه التصرفات الخاطئة، وتلاحظ كيف هي في الأخير أشياء رهيبة جدّاً.

قلوبهم صارت أقسى من الحجارة

الشيء الطبيعي: أن الإنسان بعدما يشاهد آية من آيات الله أو يسمع شيئاً من هدى الله يتأثر قلبه ويلين ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ (الحديد:١٦) ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ﴾ (البقرة:٧٤) هناك من الحجارة أفضل من القلب القاسي فلم يعد يقدم شيئاً، ولم يعد ينفع بشيء، ولم يعد كله إلا خلل، ولم يعد ينتج عنه إلا ضر.

﴿وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ﴾ (البقرة:٧٤) أي أن من الحجارة ما هو أفضل

من تلك القلوب القاسية؛ لأن الحجارة بعضها تسقط وتهبط من خشية الله، ويمكن إن الصخرة الصماء الصلبة القاسية أن تلين وتخشع لله وتهبط من خشية الله، وأيضاً يتفجر من بعضها الماء، لكن القلوب القاسية لم تعد تنفع بشيء أبداً، ولم تعد إلا ضارة، فهي ليست بالشكل الذي تقبل شيئاً فيخشع أصحابها ولا تكون تصرفاتهم وما يأتي من جانبهم بالشكل الذي ينفع الأمة.

٦. يشكل اليهود خطورة كبيرة على الحضارة القائمة

قضية ما تزال ظاهرة في اليهود إلى حد الآن: كيف أنه على أيديهم، وبسبب انحطاطهم الذي فقدوا به الاهتمام بالقضايا الكبيرة، الاهتمام بعمارة الدنيا على أساس هدي الله، هذا الانحطاط الذي تصل إليه النفوس المعرضة عن هدي الله عندما تصبح لا تقدر للشيء مهما كان مهماً أي قيمة، حضارة معينة كانت يبدو - والله أعلم - كانت حضارة راقية من مظاهرها ما كان عليه نبي الله سليمان، وما كان عليه منهم من المقربين لديه من حاشيته، ومن كبار دولته: أنه يبدو أنه كان هناك في ذلك العصر علوم راقية، وتبدو مظاهرها ما تزال في مصر، وقد يكون من مظاهرها ما هو في اليمن أيضاً.

أشياء عندما تتأمل فيها ترى بأنها بعيدة أن تكون من عمل الإنسان بطاقته الطبيعية، وخبراته الطبيعية، أنه يبدو أنه كان هناك علوم تسخر بها أشياء كثيرة من مخلوقات الله سبحانه وتعالى تعتبر أسباباً لإنتاج أشياء لا ينالها الإنسان هو بطاقاته المحدودة.

من أبرز ما حصل في تلك الحضارة، ومن مظاهر ذلك العلم ما حكاه الله سبحانه وتعالى في قصة [عرش بلقيس] كيف أن الذي عنده علم من الكتاب قال: {أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ}(النمل: من الآية٤٠) قضية علمية هذه ليس معناها أنه مسألة دعاء معين، فيما يبدو - والله أعلم - ليست القضية قضية دعاء؛ عنده علم من الكتاب، تسخير أشياء معينة كما قلنا بأن مجمل ما يتحرك فيه الإنسان مهما تطورت

العلوم لا تخرج عن مجرد استخدام لأسباب طبيعية الله سبحانه وتعالى هو الذي جعلها في هذا الكون، محيط هذه الأرض، في السماوات والأرض وما بينهما.

لكن لاحظ كيف اليهود عندما انحطوا انحطاطاً رهيباً جداً كان الذي يهمهم من تلك العلوم، ومن تلك الحضارة الهامة: هو أن يتعلموا ما يفرقون به بين المرء وزوجه! فأضاعوا العلوم الأخرى، أضاعوا علوماً ابتنت عليها حضارة لهم هم في عهد سليمان كلها في الأخير تلاشت، خلاصة ما تبقى لديهم هي [علوم الشعوذة] - كما يقولون - وما زال هذا لديهم إلى الآن.

إذاً وجدناهم بسبب أنهم لم يهتدوا بهدي الله حطموا حضارة قائمة، وأضاعوا علوماً هامة جداً، هذه الحالة ما تزال قائمة فيهم إلى الآن، ما تزال إلى الآن، الفكرة التي ما يزالون عليها هي تلك التي حكاها عنهم كان كل هدفهم من علوم معينة: يفرقون بين المرء وزوجه. الآن العلوم الحديثة، هذه الحضارة الحديثة هذه أيضاً معرضة للنكسة على أيديهم هم فعلاً، الآن بعد الثورة الصناعية، وبعد ازدهار العلم حاولوا أن يتغلغلوا في داخل البلدان التي ازدهرت مثل: بريطانيا، في فرنسا، في أمريكا، أمريكا بالذات قد تكون أمريكا من أبرز البلدان الآن في مجال العلوم بل سمعنا في الفترة القريبة: بأنها ربما قد تكون تجاوزت أوروبا بما يساوي أربعين سنة، بالنسبة لأمريكا.

الحضارة، العلم الذي عليه أمريكا، وبلدان أوروبا، والعالم كله معرض أيضاً للانهيار على أيديهم هم، لديهم اهتمامات معينة اهتمامات هي أيضاً لا يبالون من أجلها أن يتحطم كل شيء فينطلقون بنفس الفكرة: التفريق تجدهم مثلاً الآن يفرقون بين الإنسان ودينه، بين الإنسان وربه، بين المسلم وكتابه، يفرقون بين الأمم، يجزؤونها، يفرقون ما بين الحاكم وشعبه، أليست سياسة بارزة الآن؟ قضية بارزة الآن: موضوع التفريق ما بين الدولة والشعب، بغض النظر أن تكون دولة مستقيمة، أو دولة غير مستقيمة، يعني: سياستهم مثلاً بالنسبة لإيران كسياستهم بالنسبة للسعودية تماماً مع

الفارق الكبير ما بين النظام في السعودية والنظام في إيران، التفريق ما بين الشعب والحاكم.

يسوقون العالم الآن، يسوقون تلك البلدان التي امتلكت حضارة عالية، واحتضنت علوماً مهمة يسوقونها إلى ماذا؟ إلى حالة قد تؤدي فعلاً إلى خسارة علمية رهيبة، إلى خسارة حضارية رهيبة. هم يرون بأنه ليس بإمكانهم أن يحكموا العالم - لديهم مطمع معين: أن يسيطروا على العالم - إلا بعد أن يدخلوا العالم في صراعات رهيبة جداً بالطبع تكون في نتيجتها ضرب المصانع، المفاعلات، المعامل، الخبراء، العلماء، المدارس، الجامعات كلها تضرب، إذاً فهم كانوا وراء تحطيم الحضارات السابقة، وضياع العلوم السابقة والآن هم في الطريق لنفس ما عملوه في الماضي.

مجمل ما قدمه الله سبحانه وتعالى، وما ذكره عن بني إسرائيل، بما فيها النقطة هذه: أن أي أمة تصل في علومها إلى درجة عالية هي معرضة للتلاشي بسبب ماذا؟ أنها ليست مهتدية بهدي الله، أن هدى الله سبحانه وتعالى هو من أهم الضمانات لبقاء العلوم الهامة، من أهم الضمانات التي تبنى عليها الحضارات وتدوم وتستمر.

لاحظ الآخرين الآن العلوم الراقية كيف أصبحت معرضة للانهيار على يد من؟ من حكى الله هنا في القرآن الكريم بأنه طبع على قلوبهم ممن قالوا عن أنفسهم بأن قلوبهم غلف، إذاً ألم تكن تلك الحضارة أو تلك العلوم بحاجة إلى شيء يشكل ضمانة لبقائها، يشكل ضمانة لأن تبقى مستمرة تنتج إنتاج خير للناس؟ الآن البشر كلهم يصيحون بأنه احتمال تحصل حروب رهيبة يعني كلهم الآن يصيحون من نتاج العلم أليس من نتاج العلم وما توصل إليه الآخرون في علومهم؟ أصبح الآن يمثل شراً كبيراً من الذي جعل المسألة بهذا الشكل؟ هم هؤلاء أهل الكتاب اليهود بالذات الذين كانوا على هذا النحو.

أ. ما نراه اليوم من اليهود ليس جديداً

إذاً فما نراه اليوم بالنسبة لليهود ليس جديداً في الواقع، وكثير من المحللين يذكرون بأن أمريكا الآن معرَّضة للانهيار، بخبراتها العالية، وبعلومها، وبكل ما عندها، معرضة للإنهيار على يد اليهود فضلاً عن باقي الأمم؛ ولهذا ترى كيف أصبح الكثير يضجون منهم الآن، فالعالم يضج الآن من اليهود، ففي مؤتمر القمة الإسلامية سمعنا الوزير الماليزي عندما تحدث عن اليهود، وحصل تأييد له من أطراف كثيرة؛ ضجة من المناطق التي لليهود نفوذ فيها وهيمنة مباشرة عليها وكثير من الكتابات حتى كتابات هنا في اليمن أذكر في بحث جميل في مجلة من مجلات الجيش ينبه إلى خطورة السياسة الإسرائيلية وخطط اليهود على أمريكا نفسها، وانها ستؤدي إلى تحطيم أمريكا نفسها.

ربما قد يكون من حسن حظنا نحن في الزمن هذا أن رأينا البلدان التي احتضنت العلم: هي معرضة للانهيار وبالشكل الذي ترى فعلاً بأن تلك الأمم كانت بحاجة إلى هدي الله، تهتدي بهدي الله: فيما يتعلق بنظامها السياسي، فيما يتعلق باقتصادها، فيما يتعلق بحركتها بشكل عام، فهذا مثل مهم جداً نستطيع نحن عندما نتحدث مع الآخرين، أو نسمع من الآخرين ممن يحاولون أن يعتبروا هذا الدين، أو يعتبروا الدين بشكل عام يؤدي إلى تخلف الشعوب والأمم وإلى التأخر، والمفروض نترك هذه الأشياء، ونلحق بركاب الآخرين! أنت لاحظ الآخرين إذا لديك فكرة وفهم، الآخرون معرضون لنكسة رهيبة، وخسارة للبشرية فيما لديهم من علوم، ما السبب في ذلك؟ بالتأكيد هم كانوا بحاجة إلى شيء يشكل ضمانة بالنسبة لهذه الحضارة، وهذه العلوم هو ماذا؟ هو هدي الله.

إذاً فهذا يعطينا ثقة بأن هدي الله سبحانه وتعالى المتمثل في القرآن الكريم، دينه المتمثل في الإسلام بشكل عام هو من أهم ما تحتاج إليه البشرية بشكل عام لتستقيم في كل شؤونها، وليبقى ثابتاً ومتنامياً ومثمراً أي شيء تتوصل إليه من العلوم مثلما

توصلت إليه الآن، وربما قد يكون في علم الله وما تدل عليه أيضاً الآية هذه السابقة وما تدل عليه قصة: ﴿أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ (النمل: من الآية٤٠) أنه قد نكون ربما ما نزال متأخرين بالنسبة لعلوم سابقة ضاعت، الآن العلم الحديث لم يستطع إلى الآن أن يفسر كيف تمت عملية نقل [عرش بلقيس] إلى فلسطين، من اليمن إلى فلسطين لم يستطيعوا أن يفسروا تفسيراً مقبولاً ومنطقياً ومعقولاً، فيما يتعلق ببناء [الأهرام] في مصر ما تزال هاتان القضيتان لغزاً علمياً فعلاً.

معنى هذا أن الله عندما قال: ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلاً﴾ (الإسراء: من الآية٨٥) ذلك العلم بكله الذي وصل إلى الدرجة هذه استخدام أشياء أخرى يتم بسببها التوصل إلى أشياء ما تزال لحد الآن لغزاً، فالعلم الحديث الآن هو ما يزال فعلاً قليلاً، ما يزال قليلاً بالنسبة لعلوم ضاعت سابقاً، وما يزال الكل قليلاً مما آتاه الله سبحانه وتعالى ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلاً﴾ (الإسراء: من الآية٨٥) هذه كانت مشكلة وما تزال مشكلة فعلاً ويتم التلبيس بها على كثير من الناس في قضية التحضر والحضارة والعلوم يتصورون بأن معناه نترك هذه الأشياء ونلحق بالآخرين!.

ب. لماذا هم أحرص الناس على حياة؟

يقول الله سبحانه وتعالى ﴿قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَداً بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ * وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ (البقرة ٩٤- ٩٦) أي أنه يتمنى أن يتعمر ألف سنة؛ لأنه يعرف أن المستقبل بالنسبة له مُظلم، مُظلم لأن الطريقة التي هو عليها هي طريقة ظلام مهما حاول أن يُصبغ عليها مبررات، وأشياء من هذه. ﴿فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ أي:

قل لهم: ﴿**إِنْ كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ**﴾؛ لأن معنى هذا أنتم تعرفون ونحن نعرف جميعاً أن الدار الآخرة أفضل من هذه الدار الدنيا، فعندما تدعون أن قد صار لديكم ضمانة عليها وأنكم تسيرون إليها، إذاً فالوجود في هذه الحياة الدنيا يعتبر خسارة بالنسبة لكم، والموت يعتبر مفتاح الدخول إلى ذلك العالم الراقي، إلى عالم الجنة التي تدَّعون اختصاصكم بها.

ج. ولن يتمنوه أبداً بما قدمت أيديهم

﴿**وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَداً بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ**﴾ (البقرة:٩٥). الله سبحانه وتعالى عليم بالظالمين بالشكل الذي يفضح ما هم عليه، أحياناً كثير من الدعاوى قد تنسى كيف تواجهها، أو كيف تفضحها، خاصة إذا حصل عند الإنسان وفق القواعد المنطقية في الاستدلال والجدل والحوار الذي معناه: مقارعة في اتجاه واحد، ونقطة واحدة. فأحياناً تكون منصرفاً عن موضوع دعاواهم أنهم مختصون بالدار الآخرة وأشياء من هذه، قد يغنيك عن الجدل في هذه القضية "لا، أبداً، لستم مختصين، ولو كنتم مختصين لكانت الأدلة كذا كذا..." أخذ ورد، قل: إذاً تَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِين، وسيبين من خلال حالتهم بأن كل ما يدعونه أنهم غير واثقين منه، وطريقتهم غايتها الجنة هذه باختصاص عند اليهود بأنهم فقط هم سيدخلون الجنة، لن يدخل ولا النصارى فقط. إذاً فهذا يفضحهم تجعل من واقعه ما يفضحه.

٤. آثار الضلال على الانسان

ثم يبين لك أنت كيف يصل الإنسان في نفسيته؛ لأنه ظهر هنا بمظاهر متعددة، في اعتقادات، وسلوكيات، ومواقف من الأنبياء ومواقف مما أنزله الله سبحانه وتعالى على رسوله (صلوات الله عليه وعلى آله). ثم يبين لك أثر الضلال في حالة نفسية داخله، حاله نفسية، خائفون من الموت؛ ولهذا يزعجهم جدّاً (الهتاف بالموت لأمريكا والموت لإسرائيل). لا يريد أن يسمع كلمة "موت" نهائيّاً.

أيام احتلال العراق عندما رأوا الموت في العراق بمعدل (أربعة – خمسة) كل يوم انهارت معنوياتهم وانزعجوا هناك. الموت يشكل بالنسبة لهم قضية مزعجة جدّاً؛ لأنهم غير واثقين بما وراءَه نهائيّاً، لهذا عندما قال الإمام علي (عليه السلام): **﴿وَاللهِّ لَابْنُ أَبِي طَالِبٍ آنَسُ بِالْمُوْتِ مِنَ الطِّفْلِ بِثَدْيِ أُمِّهِ﴾** طمأنينة هذه، يأتي الموت، سواء تقدم أو تأخر أي يأتي متى ما أراد هنا طريقة صحيحة فليكن ما كان.

﴿وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَداً﴾ هذه فضيحة مؤكدة من البداية؛ لأن الله سبحانه وتعالى هو يعلم **﴿يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُوراً رَحِيماً﴾**(الفرقان:٦) ويعلم أن هؤلاء هم بهذا الشكل **﴿لَنْ يَتَمَنَّوْهُ﴾** ألم يكن باستطاعتهم أن يتمنوه ليفضحوه، أبداً لن يتمنوه، وهم يتمنون أن يكون لديهم ما يفضحون هذا الذي يعتبرون أنه غير صحيح، أو يدَّعون أنه ليس حقّاً، القرآن مثلاً ونبوة محمد (صلوات الله عليه وعلى آله) وهذه قضية خطيرة لا أنها من عند الله، ولن يستطيع أحد أن يقول هذا أبداً، لن يجرؤ محمد (صلوات الله عليه وعلى آله) هو أن يقول: **﴿وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَداً﴾** لأن معناه أنك تعطي الطرف الآخر تعلق

مصداقيتك كلها بشيء خطير وربما يعملونه، أليست قضية سهلة؟ أنه يمكن أي طرف أن يتمنى الموت، ولكن لَمَّا كان من عند الله، هو يعلم.

أ. هذا دليل على أن القرآن من عند الله

إذاً، فهذه من المؤكدات أن هذا القرآن هو من عند الله سبحانه وتعالى لا يوجد أي ريب على الإطلاق مثلما قال في أول السورة ﴿**لا رَيْبَ فِيهِ**﴾(البقرة:٢). أنَّ مِن مظاهر أنه ﴿**لا رَيْبَ فِيهِ**﴾ أنه من عند الله، هذه النقطة الحساسة والتي لن يجرؤ أحد على الإطلاق أن يقولها، وأن يتحدى الطرف الآخر بها، ترتب كل مصداقيتك على حاجة بسيطة (مثل الشعرة) ربما يقولونها! تقول: إذاً تمنوا الموت، ما رأينا شيئاً. انهارَ كلُّ ما عندك من شيء، أبداً ﴿**وَلاَ يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَداً بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ**﴾(الجمعة:٧). الله عليم بنفسياتهم، وشخّص للناس نفسياتهم، وعليم بكيف تفضحهم، وعليم بكيف تبطل كثيراً من ادعاءاتهم ومقولاتهم.

ب. هم متشبثون بالحياة الدنيا

﴿**وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ**﴾ (البقرة:٩٦) لأنه لا يتوقع شيئاً بعد هذه الحياة، هو يريد أن يبقى هنا ﴿**أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ**﴾ أي: جزء من الحياة، يتشبث بحياة حتى لو قد صار يهوديّاً على عصاه ولو قد صار في وضع مُزْرٍ، لا يحب أبداً أن يموت، وأحرص من الذين أشركوا، وأحرص منهم على الحياة.

﴿**يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ**﴾ (البقرة:٩٦). إذاً هذه تمثل نقطة ضعف كبيرة جدّاً بالنسبة لهم. فمن نعم الله تعالى على الناس أنه عندما يكون أعداؤهم يسميهم: كافرين، وضالين، ولا يفقهون، وطبع على قلوبهم، ولعنهم، وغضب عليهم، وضرب عليهم ذلة، ومسكنة، ويخبر عنهم بأنهم حريصون جدّاً جدّاً على

الحياة. يعني نقاط ضعف لديهم؛ لأن هذه كلها في الأخير تقوم عليها تصرفاتهم، وقريبون جدّاً إلى الإنهيار في معنوياتهم، وخوّافون جدّاً، وجبناء جدّاً.

نحن لا نقيمهم على أساس هذا الشيء الذي عرض القرآن الكريم! هو كلام من عند الله سبحانه وتعالى، وهو بالشكل الذي يبين لك فعلاً نقاط ضعف، ورغم هذا لا يزال المسلمون يرونهم أقوياء، ويرونهم كباراً، ويرونهم كتلاً من الصلب.

﴿**وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ**﴾(البقرة:٩٦) كلمة: تجدنهم، تظهر من سلوكياتهم وليس فقط قضية غيبية سترى، وستجد أنت أثناء الصراع معهم وتعاملهم في هذه الحياة ما يبين لك أنهم أحرص الناس، كل الناس حتى من المشركين، وأحرص من المشركين على حياة ﴿**يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ**﴾ ومعنى هذا: أنها ليست قضية نفسية فقط، بل تظهر في واقعهم، وتظهر في صراعهم، وقد ظهر لنا يوم أن كانوا محتلين للعراق عندما ظهر قتل يوميّاً كيف انهارت معنوياتهم، وكيف بدت أمريكا هناك منزعجة جدّاً، يطالبون بإعادة الجنود، والجنود صاروا يفرون إلى تركيا وإلى سوريا.

٨. الصراع مع أهل الكتاب حضاري- ثقافي-اقتصادي- اعلامي

لا بد لهذه الأمة أن تتجه نحو الاكتفاء الذاتي، لتعتمد على نفسها في مجال غذائها فتهتم بالزراعة، وتهتم بالتصنيع، وفي كل المجالات، وتهتم بالتصنيع العسكري، وتهتم بالتصنيع في مختلف الأشياء التي يحتاجها الناس لتكون

بمستوى المواجهة، وتهتم أن تنشئ جيلاً يعرف كيف ينظر إلى الغرب، ويهتفون بالعداء لأمريكا، بالعداء لإسرائيل.

يجب أن تربى الأمة على نهج القرآن الكريم حتى تكون بمستوى المواجهة، فتحمل العداء، وتبني نفسها لتكون بمستوى المواجهة.

هل يمكن للعرب أن يقاتلوا وقد أذلهم زعماؤهم، وأوصلوهم إلى هذه الحالة؟ كانت المواجهة عسكرية قبل سبعين سنه، أما الآن فقد أصبحت المواجهة حضارية.

أ. الصراع الثقافي

هم يعرفون دور وأهمية الجانب الثقافي في صناعة الأمة ولذلك يعملون على مسخنا ثقافياً من خلال إشرافهم المباشر على صياغة المناهج الدراسية في المدارس والجامعات والمعاهد وحتى في المعسكرات وأن يقدموا لنا البدائل المغلوطة التي تجعلنا أمة بلا مشروع وبلا أهداف حقيقية.

حتى في الجوانب العلمية يحرصون أن يعلمونا فقط كيف نستخدم منتجاتهم أما أن نصنع أو نبدع فلا , ولم يكتفوا بهذا وإنما صنعوا لنا الفكر الوهابي التكفيري الذي يمسخ هوية الأمة ويمزج الأمة ويشغلها بالصراعات الداخلية أو يسخر الأمة بما تمتلكه من ثروات في خدمة أعدائها كما هو حاصل الآن .

يعملون على نشر الأخطاء الثقافية ونشر المذاهب

وتعدد الطوائف يخدمها أيضاً! هم الذين صنعوا طوائف إسلامية خلال المائة السنة الماضية، والمائتي السنة الماضية، صنعوا طوائف جديدة كالوهابية، والبهائية، والقاديانية، جعلوها طوائف إسلامية.

فهم يحاربون القرآن لأنهم يعرفون أنه هو وحده الذي يستطيع أن يبني أمة واحدة، وهو الذي يستطيع أن يبني أمة قوية، وأن لغته اللغة العربية التي هي أساس من أسس فهمه يجب أن تُحارَب، ويجب أنْ تُقصى، وأنْ تعمم بدلاً منها اللغة الإنجليزية، وأن نترك الشباب يشعرون بإعجاب وبعظمة عندما يتعلمون اللغة الإنجليزية.

انها حرب شعواء ضد اللغة العربية؛ لأنها لغة القرآن الكريم، وأن الله سبحانه وتعالى قال: ﴿**بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ**﴾(الشعراء:١٩٥) ﴿**قُرْآناً عَرَبِيّاً**﴾(يوسف:٢) أكثر من ثلاث آيات تحدث الله عن القرآن أنه عربي، وباللغة العربية، وبلسان العرب.

هناك فنون أخرى لا يتعرضون لها، فنون أخرى مما يقطع الكثير منا أوقاتهم وهم منهمكون في دراستها لا يتعرَّضون لها، حتى وإن كانت باسم علوم إسلامية، حتى وإن قدمت في أوساطنا بأنها من آليات فهم القرآن الكريم، ومن آليات استنباط الأحكام الشرعية، لا يتعرَّضون لها، ويرون أنها تخدم القضية.

أمَّا القرآن الكريم، فهم يعلمون أنه كتاب يستطيع أن يصنع أمة واحدة، وأن من يلتفون حوله لن يفترقوا، ولن يختلفوا، وسيكونون كما قال الله: معتصمين بحبل واحد، عندما قال: ﴿**وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُواْ**﴾(آل عمران:١٠٣) لذلك ركزوا حربهم على القرآن الكريم.

ب. حتى الجانب الإعلامي لم يفعّل لترسيخ حالة العداء

وفي الجانب الإعلامي، اليهود الآن أرفع وعياً من المسلمين، واليهود أكثر وعياً فيما يتعلق بالمواجهة في صراعنا الآن. ألسنا نقول إن الصراع (صراع عربي إسرائيلي)؟ والعرب يقولون هكذا: (صراع عربي إسرائيلي) والعرب أو المسلمون بصورة عامة. الإسرائيليون استطاعوا أن يخلقوا وعياً يهوديّاً داخل إسرائيل فيما يتعلق بالصراع مع العرب أفضل بكثير مما يعمله العرب، بل لا يعمل العرب شيئاً.

أين المناهج الدراسية التي تربي أبناءنا على أن يحملوا عداوة لأمريكا وإسرائيل؟ أن يحملوا عداوة لليهود والنصارى؟ أين العمل - من أيَّة وزارة - الذي يجعل هذا الشعب بمستوى أن يصمد ولو شهراً واحداً فيما لو دخل في حرب مع إسرائيل؟

بل إنهم بحكم تأثرهم واستجابتهم لمطالب إسرائيل، مطالب اليهود - واليهود دقيقون جدّاً جدّاً حتى في ما يتعلق بالمفردات اللغوية - يحاولون أن ينسفوا أيَّة مفردة يعرفون أنها ترسخ مشاعر تكون خطيرة عليهم.

طلبوا من الإعلام العربي إزالة كلمة (العدو الإسرائيلي) التي كانت تستخدم، فأصبحت أجهزة الإعلام - حتى الفلسطينية - لا تتحدث عن العدو الإسرائيلي، بل الفلسطينيون أنفسهم، وهذا من العجيب ومما يثير الاستغراب والأسى في وقت واحد: أن الفلسطينيين كلما سمعناهم يتحدثون عن هذا الظرف يقولون: "حكومة شارون، وشارون، وحكومة شارون"، لم يقولوا "إسرائيل"؛ لأنهم قد اعترفوا بإسرائيل، وإنما هذا كشخص يهودي هو "حكومة شارون" لو أنها حكومة شخص آخر لا يمكن أن تعمل هذا الشيء! والمشكلة هو شارون باعتباره رئيس وزراء. أما إسرائيل كأنها ليست مشكلة، ولم يكن وجودها مشكلة، فأصبحوا يقولون: "حكومة شارون" لم يعودوا يتحدثون عن اليهود كعدو.

وهذه الكلمة مؤثرة جدّاً، كلمة: (عدو) ضد إسرائيل مما ترسِّخ مشاعر العداء، وهذه فُقِدَت في إعلامنا، وفُقِدَت في مناهجنا الدراسية، وفقدت حتى في تداولنا في الحديث، فأصبحت كلمة "يهود ونصارى" أُستبدلت بكلمة "الغرب".

والغرب، وأمريكا، هم اليهود والنصارى الذين تحدث الله عنهم هنا وما يكنُّونه لنا، وما يعملونه ضدنا، هم أنفسهم الذين يسموهم الآن "الغرب"، هم الآن اليهود الذين نُسفوا من قاموس التخاطب الإسلامي للبلدان وللدول الإسلامية، وألغوا استخدام كلمة (جهاد) واستبدلت بـ(مناضلين وحركة مقاومة وانتفاضة وأشياء من هذه)، لم يعودوا يستخدمون كلمة: (جهاد) التي ركّز القرآن عليها وجعلها مصطلحاً إسلامياً قرآنياً له أثره في خلق مشاعر دينية، لأنه جهاد في سبيل الله، فاستبدلت بكلمة (مقاومة، وحركة المقاومة اللبنانية، والمقاومة الفلسطينية، والمناضلين العرب، والمناضلين، وانتفاضة) فليس هناك استخدام لكلمة: (جهاد)؛ لنعرف أن اليهود قد وصل الأمر بهم في سيطرتهم علينا إلى أن أصبحت ألسنتنا تحت تصرِّفهم، وأصبحت أجهزتنا الإعلامية تحت تصرفهم.

ج. حكومات العرب غبية

وأقول وأؤكد إن حكومة العرب غبية فعلاً وعاجزة فعلاً عن أن تواجه اليهود حتى في المجال الإعلامي وحده، كم يملك العرب من محطات التلفزيون والقنوات الفضائية؟ هل استطاعوا أن يخلقوا رأياً عالميّاً مضادّاً لإسرائيل؟

معروف عن اليهود والنصارى أنهم متباغضون فيما بينهم، وأن النصارى يتهمون اليهود بقتل المسيح، وأن النصارى حملوا العداء لليهود - كما نعاديهم نحن - فترة طويلة من الزمن، هل استطاع مثقفو هذه الأمة العربية، هل استطاع الإعلام العربي أن يغذِّي العداء داخل النصارى لليهود؟ أو أن يصنع رأياً عالميّاً مضادّاً لإسرائيل؟ أو أن يصنع رأياً عالميّاً متعاطفاً مع فلسطين؟ أو حتى أن يصنع رأياً عالميّاً عربيّاً يحمل عقدة العداء لإسرائيل؟ لم يحصل كل ذلك!

وهم في الوقت نفسه يقولون: إن اليهود هم الذين يصنعون الرأي العالمي داخل بلدان أوروبا وأمريكا وآسيا وغيرها، وهم الذين يصنعون الرأي العام العالمي داخل تلك البلدان. أين جاءت أموال العرب؟! أين جاءت محطاتهم التلفزيونية؟! أين جاءت قنواتهم الفضائية؟! أين صحفهم؟! أين الصحفيون، المئات من الصحفيين منهم؟! أين مراكزهم الإسلامية؟! أين؟! وأين؟! كلهم عجزوا أمام اليهود.

د. الاهتمام بالجانب الاقتصادي

من واجب العلماء أنفسهم الذين لا يمتلكون مزارع، والذين تأتيهم أقواتهم إلى بيوتهم عليهم هم أن يلحوا في هذا المجال؛ لأنه اتضح جليّاً أن الأمة لا تستطيع أن تدافع عن دينها، ولا تستطيع أن تدافع عن نفسها وهي لا تزال فاقدة لقوتها الضروري الذي يعتمد أساساً على الزراعة، وليس الاستيراد. أصبح شرطاً، وأصبح أساساً، وأصبح ضروريّاً الاهتمام بجانب الزراعة في مجال نصر الإسلام أشد من حاجة المصلي إلى الماء ليتوضأ به. هل تصح الصلاة بدون طهارة؟ إذا لم يجد الماء يمكن أن يتيمم فيصلي.

ما دمنا مفتقدين تأمين غذائنا فلا نستطيع أن نعمل شيئاً، ولو كانت كل الصحاري (قات) ولو كانت كل الجبال (قات) لا نستطيع أن نقف موقفاً واحداً ضد أعداء الله، أصبحت حاجتنا إلى الغذاء أشد من حاجة المسلمين إلى السلاح في ميدان وقفتنا ضد أعداء الله.

القوت الضروري فلا تستطيع أن تقف على قدميك وتصرخ في وجه أعدائك وأنت لا تملك، وإنما قوتك كله من عندهم.

ولكن نحن نقول: إن اتخاذ المواقف هو في الوقت نفسه من مقدمات العودة إلى الله سبحانه وتعالى، أو بداية العودة إلى الله لنعد إلى أنفسنا، فنراه سبحانه وتعالى يطلب منا ويأمرنا بأن نكون أنصاراً لدينه، وأن نعتصم جميعاً بحبله، وأن نكون أمة تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، تدعو إلى الخير، وتقوم بهذه المهمة في الناس جميعاً.

فأملنا كبير في الله سبحانه وتعالى أن يعيد إلينا بركات السماء والأرض، فيستطيع الناس أن يعودوا إلى زراعة الحبوب، وزراعة مختلف الأصناف من الثمار التي هم بحاجة ماسة إليها لأنها قوتهم الضرورية.

هـ. من أخطر وسائل الحرب لديهم هي الحرب النفسية

يقول الله سبحانه وتعالى في بني إسرائيل ﴿**ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللهَّ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللهَّ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللهَّ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ**﴾ (آل عمران:١١٢) لهذا نقول: إنَّ من النعمة على الناس على المؤمنين، أن يكون أعداؤهم هم أعداء الله وهم ممن استوجبوا غضب الله وضربت عليهم الذلة والمسكنة وممن استوجبوا أن يعذبهم عذاباً شديداً وعذاباً أليماً، على اختلاف الآيات في هذا الموضوع، بمعنى أن هذا يمثل أملاً في حد ذاته؛ لأن عدوك عندما يكون هو عدو الله يكون معناه ماذا؟ نقاط الضعف فيه كثيرة ونقاط الضعف لديه كبيرة جدّاً.

﴿**ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللهَّ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللهَّ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللهَّ**﴾

لاحظ هنا في الآية الكريمة قضية أعني في تشخيص نفسية بني إسرائيل أنهم - فيما يتعلق بالمواجهة بعد أن ضرب الله عليهم الذلة والمسكنة - (متخوِّفون) جدّاً من موضوع القتال، ولهذا نقول أكثر من مرة: يجب أن نتلمس ما يعملون ونعرف أن بإمكاننا أن نعمل أشياء كثيرة في مواجهتهم؛ لأنهم في المقابل يركزون على الحرب النفسية والحرب الثقافية والاقتصادية، وأشياء كثيرة، والحرب الإعلامية ويركزون على وسائل أخرى بحيث لا يظهرون على أمة من الأمم إلا وقد صارت منهارة؛ لأنهم (متخوِّفون) جدّاً من موضوع القتال.

ولهذا نحن نقول: أن هناك أشياء كثيرة في متناول الناس يعملونها إضافة إلى إعداد أنفسهم للمواجهة المسلحة؛ لأن هذه قضية أساسية لا يأمن هذا العدو طرفك بأنك لا تواجهه، معنى هذا يتجرأ عليك، ويعرف أنك مستعد بأن تواجهه بما لديك من سلاح مهما كان بسيطاً، وفي الوقت نفسه يجب أن تشتغل بالطرق الأخرى: الموضوع الثقافي وموضوع الحرب النفسية، والحرب النفسية وهي حرب واسعة، وهم يركزون عليها بشكل كبير، نحن نقول: مثل موضوع شعار ومقاطعة اقتصادية وتوجيه للناس على هذا النحو يعتبر حرباً، ويعتبر تحصيناً للأمة من حربهم الحقيقية.

هـ. لن يصرع اليهود إلا الإسلام الحقيقي

نحن نقول أحياناً وبعض الكتاب يقولون: (الصراع الإسلامي الإسرائيلي) وهذه عبارة مغلوطة ، لا يمكن أن يُسمى الصراع مع إسرائيل (صراعاً إسلاميّاً إسرائيليّاً)، لو كان الإسلام هو الذي يصارع إسرائيل، ولو كان الإسلام هو الذي يصارع اليهود، ولو كان الإسلام هو الذي يصارع الغرب لما وقف الغرب ولا إسرائيل ولا اليهود لحظة واحدة أمام الإسلام، لكن الذي يصارع إسرائيل،

ويصارع اليهود، مسلمون بغير إسلام، وعرب بغير إسلام، صرعوا الإسلام أولاً هم ثم اتجهوا لمصارعة إسرائيل بعد أن صرعوا الإسلام هم من داخل نفوسهم، ومن داخل أفكارهم، ومن جميع شؤون حياتهم، ثم اتجهوا لصراع اليهود، تلك الطائفة الرهيبة، فأصبحوا أمامها عاجزين وأذلاء ومستكينين ومستسلمين ومبهوتين؛ لأنهم لم يهتدوا بهذا الكتاب العظيم؛ لم يرجعوا إلى هذا الكتاب الكريم، فأصبحوا كما نرى.

فالصراع هو صراع عرب مع يهود، صراع مسلمين بدون إسلام مع يهود، وليس صراعاً إسلامياً. نحن عندما نرجع إلى صدر الإسلام أيام النبي (صلوات الله عليه وعلى آله) نرى أنه استطاع أن يقضي على اليهود - وهم اليهود في خبثهم ومكرهم - واستطاع أن يقضي عليهم على هامش جهاده مع الكافرين، وليس اتجاهاً محدداً ورأسياً ضد اليهود، بل على هامش حركته العامة، استطاع أن يقضي عليهم، واستطاع أن يحبط كل مخططاتهم، ومؤامراتهم على هامش حركته العامة.

يصيح العرب من إسرائيل ولا يبحثون عن حل، فلماذا لم يرجع المسلمون إلى هذا القرآن؟ ولماذا يصيحون دائماً من إسرائيل ثم لا يفكرون في حل؟ تابِعُوا وسائل الإعلام: الإذاعات والتلفزيونات هل هناك أحد يضع رؤية صحيحة لمواجهة إسرائيل؟ هل هناك أحدٌ يضع رؤية عملية في مواجهة اليهود والنهوض بهذه الأمة؟ لم نسمع شيئاً.

٩. أرشد الله سبحانه وتعالى الأمة إلى حلول في مواجهته

بعد أن ذكر الله سبحانه وتعالى عن اليهود قضيتين - ويجب أن تكون محط اهتمامنا - أنه قال بالنسبة لنبيه (صلوات الله عليه وعلى آله): ﴿**وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ**﴾ (الإسراء:٧٣)، ﴿**وَلَوْلا فَضْلُ اللهِّ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ**

لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ﴾(النساء:١١٣) فهل يذكر الله كل هذا عن بني إسرائيل وعن اليهود ثم لا يكون قد هدانا في كتابه الكريم إلى ما يجعل الأمة بمستوى المواجهة لهذه الطائفة، وإحباط كل كيدها ومؤامراتها، وإلى ما يجعلها صاغرة ذليلةً تحت وطأة وأقدام هذه الأمة؟!

ولو رجع المسلمون إلى القرآن الكريم لعرفوا أن لله سبحانه وتعالى قد هداهم إلى هذا الشيء ولكنهم أعرضوا عنه؛ فأصبحت هذه الحالة سائدة، وأصبحوا يعانون من هزيمةٍ نفسية ثابتة مستقرة لا يرون منها مفرّاً ولا مخرجاً.

يؤكد القرآن الكريم ويشير، ويدلل على أن الخصومة والمواجهة الحقيقية فيما بين المسلمين على امتداد التاريخ ستكون مع أهل الكتاب، وفعلاً في التاريخ كان العداء فيما بين هذه الأمة وأعداء آخرين كان مع أهل الكتاب. المشركون والكافرون لم تقم لهم قائمة، أو ظهر كفرٌ من صنع أهل الكتاب.

فالقرآن الكريم في (سورة آل عمران) وفي (سورة المائدة) وفي (سورة البقرة) يشير إلى أن المواجهة الحقيقية مع هذه الأمة ستكون مع اليهود، ومع أهل الكتاب جميعاً من اليهود والنصارى.

وعندما ذكر هذه الإشارة نرى الحكمة العجيبة من قِبَل القرآن، ومن قِبَل الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) كيف أنه قد تكفل بهداية الأمة إلى ما يجعلها - كما كررت أكثر من مرة - في مستوى المواجهة مع أهل الكتاب، الذين سيكونون هم الخصوم الحقيقيين والأعداء الألداء لهذه الأمة على طول تاريخها.

لقد فعل كل شيء لكن هذه الأمة هي التي ابتعدت عن القرآن، ابتعدت عن قرناء القرآن، ابتعدت عن الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله)، ثم انطلقت في

الميدان مجردةً من سلاحها الحقيقي، من هديها، من هداتها، من قادتها، ثم انطلقت لتصارع فهُزمت وأُذلت، وأصبحت أمةً تحت أقدام اليهود والنصارى.

أ. مما أرشد اللّه إليه

تصحيح ثقافتنا خصوصاً ما يتعلق بمعرفتنا باللّه وبرسوله وكتابه

نحن الآن أمام هزيمة، تحدثنا أن العرب والمسلمين أمام هزيمة حقيقية بالنسبة لليهود مَن حكى الله عنهم هذه الأشياء. فما هي مشكلة العرب والمسلمين؟ مشكلة العرب، ومشكلة المسلمين أنهم لم يثقوا بالله، ولهذا لم يرجعوا إلى كتابه، لم نثق بالله فلم نرجع إلى كتابه، ولم نثق برسوله (صلوات الله وسلامه عليه)، ولم يثقوا بالله، ولم يثقوا برسوله، ولم يعرفوا الله المعرفة الكافية، والمعرفة المطلوبة، ولم يعرفوا رسوله (صلوات الله عليه وعلى آله) المعرفة الكافية، والمعرفة المطلوبة.. فظلوا دائماً يدورون في حلقةٍ مفرغة، وظلوا دائماً يتلقون الضربة تلو الضربة، مستسلمين، ومستذلين، ومستكينين.

ماذا يعني أنهم لم يثقوا بالله؟ المفسرون السابقون، وقضية إسرائيل، وقضية ما وصلت إليه الأمة ليست نتاج هذا العصر فقط، بل نتاج زلات وأخطاء قديمة جدّاً جدّاً جاءت من بعد الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) بدؤها من يوم السقيفة، لم يثقوا بالله ولم يثقوا برسوله، ولم يعرفوا كتاب الله المعرفة المطلوبة حتى عندما يأتي القرآن الكريم ليقول: ﴿**مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ**﴾(الأنعام:٣٨) يقول المفسرون: أي من الأشياء التي تناولها؛ لأنهم يستبعدون أن يكون هذا القرآن قد هدى الأمة إلى كل شيء في هذه الحياة، وهداها إلى كيف تكون بمستوى المواجهة لأي خصم من خصومها.

وجعلوا هذا القرآن عبارة عن كتاب يُتلى ويُردد، يتناول القضايا العبادية والأخلاقية في صورة محدودة، ويحكي قصص الماضين لمجرد العبرة التي يفهمونها بفهمٍ قاصر، أو يُعرضون عنها.

وجردوا الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) من شخصيته، ولم يعطوه المكانة اللائقة به. ولم يعرف المسلمون الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) من ذلك اليوم إلى الآن المعرفة والفهم الصحيح الذي ينبغي أن يكونوا عليه.

فلم يفهموه حتى كقائد عسكري محنك وقدير وحكيم، وجردوه من شخصيته وحولوه إلى مجموعة كتب ملئت بالكذب عليه: "فرسول الله يعني: سنته، وسنته تعني: المجاميع الحديثية المعينة التي جمعها فلان، وفلان، وفلان، وفلان هذا هو النبي"! تعال إلى النبي تراه هنا يقول: "حدثوا عن اليهود ولا حرج"!

حتى في هجرة الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) من مكة إلى المدينة يتحدثون في كتب السيرة عن (صلحه مع اليهود) ويتحدثون عن صلح وقع منه مع اليهود! وعندما ترجع أنت لتقرأ الوثيقة التي صاغها الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) بعد أن وصل المدينة المنورة صاغها بسرعةٍ، وذكر فيها كل بطون سكان المدينة، وكل بيوتات القبائل الساكنة في المدينة وحولها، وثيقة ليست بصدد الصلح مع اليهود، ولا حول الصلح مع اليهود.

اليهود كانوا حول المدينة حلفاء لبيوت أو أشخاص من الأوس والخزرج داخل المدينة، وحلفاء لهم مرتبطين بمعاهدات معهم كأتباع لهم. والرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) عندما اتجه من مكة إلى المدينة مهاجراً، اتجه ليبني قاعدةً ينطلق منها

للجهاد، وإعلان دولته، وإعلان دعوته؛ لينطلق منها للجهاد ضد كل المعارضين لدعوته التي بعث بها، فعمل على أن يجعل المدينة قاعدةً مستقرة.

اقرؤوا هذه الوثيقة لن تجدوا فيها مصالحة مع اليهود، إنما باعتبارهم حلفاء لمن داخل المدينة من أوس أو خزرج أو أشخاص من كبارهم يسري على اليهود ما يسري على حلفائهم. وهذا شيء طبيعي في المواثيق وفي المعاهدات العربية أنه يسري على الأولياء - الذين يسمونهم وَلِي آل فلان أو حليف آل فلان - يسري عليهم ما يسري على من هم في حلفه، أو في ولائه، أو في معاهدةٍ معه.

فيأتي كتاب السيرة ويعنونونه بـ (الصلح مع اليهود) ثم عندما اتجه (السادات) إلى القدس ليستسلم أمام إسرائيل ينطلق علماء مصر ليقولوا بأن الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) قد صالح اليهود أول ما وصل المدينة، فنحن إنما نصالحهم كما صالحهم رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) مع الفارق الكبير من كل الوجوه فيما بين ما وقع عندما وصل الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) إلى المدينة وبين ما وقع من السادات عندما اتجه إلى القدس.

لم يثقوا بالقرآن الكريم فيما يهدي إليه بصورة عامة؛ ولذا عندما تأتي لتقرأ بعض كتب التفسير من مفسري أهل السنة كالطبري وغيره في قول الله تعالى عن موسى: ﴿**يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ**﴾(المائدة:٢١) هؤلاء المفسرون يعطون اليهود وثيقة بأيديهم، والأرض المقدسة التي كتب الله لهم قالوا: هي أرض الشام! هذه العقلية سواءً لمفسر أو محدث بعيدة عما هدى إليه القرآن.

ب. الاعتصام بالله والثقة به

يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقاً مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ * وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ**﴾(آل عمران:١٠٠،١٠١). ثم يقول هنا: ﴿**وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ**﴾(آل عمران:١٠١) فالاعتصام بالله، والثقة بالله، والثقة بكتابه.. ومن الثقة بكتابه أن تعرف أن كتابه كتاب هداية، وأن تعرف أن كتابه كتابٌ للحياة كلها، وليس فقط للجوانب الإيمانية التعبدية الروحية، الذي يقول يهديك إلى ما تحصل به على ثواب لتدخل الجنة.

﴿**وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ**﴾ إذا اعتصمت هذه الأمة بالله، وإذا اعتصمت قيادتها بالله فستُهْدَى إلى الصراط المستقيم في مواجهتها مع عدوها.

ج. تقوى الله حق تقاته

القضية بالغة الخطورة وهامة جدّاً جدّاً عند الله سبحانه وتعالى، فيقول للناس ويذكرهم بإيمانهم ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ**﴾ (آل عمران:١٠٢).

يجب أن تخافوا من الله من أن يحصل من جانبكم تقصير فيها، أن يحصل من جانبكم أي إهمال، وأي تقصير، وأي تفريط، والقضية مهمة جدّاً جدّاً، هو يقول لنا هكذا، يذكرنا بأن نتقيه فالقضية لديه مهمة، وبالغة الخطورة، وبقدر ما تكون مهمة لديه وبالغة الخطورة أي أنه سيكون عقابه شديداً جدّاً على من فرَّط وقصَّر فيها، فيجب أن نتقيه أبلغ درجات التقوى ﴿**اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ**﴾ وأقصى ما

يمكن فالقضية خطيرة جدّاً، ومهمة جدّاً لديه، ولن يسمح لمن يقصر، ولن يسمح لمن يفرط، ولن يسمح لمن يهمل.

وهكذا تأتي عبارة: ﴿**اتَّقُوا اللَّهَ**﴾ في القرآن الكريم في مقامات كثيرة، وفي مقدمة كل قضية مهمة ليوحي للناس بأن المسألة مهمة لديه، فلينطلقوا من منطلق الحذر من الله من أن يقصروا في هذه القضية، سيضربهم هو، وسيكون عقابه شديداً عليهم، وسيكون غضبه شديداً عليهم كما في قوله تعالى: ﴿**فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ**﴾ (الأنفال١).

وهكذا تأتي في القرآن الكريم مكررة في معظم المقامات المهمة؛ لينطلق الناس من منطلق أن هذه قضية مهمة لدى الله سبحانه وتعالى، وهي في واقعها بالغة الخطورة؛ فأي تقصير من جانبنا نحوها سيجعلنا عُرضة لسخط الله ونعوذ بالله من سخطه.

فقوله سبحانه وتعالى: ﴿**اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ**﴾ يعني أنتم في مواجهة مع طرف يمكن أن يصل بكم إلى أن تكونوا كافرين، وأنا لا أريد أن تكونوا كافرين، وأن تكونوا كافرين يعني أن تصبحوا من أهل جهنم، وأن تتحولوا إلى أطراف، وتهملوا فتصبحوا فعلاً في واقعكم كافرين، أي أن تضيِّعوا الرسالة التي حُمِّلْتُمُوها من جانب الله سبحانه وتعالى. أليس هذا الذي حصل بالنسبة للعرب؟ ألم يُذِلّوا الإسلام بذلتهم؟ ألم يقهروا الإسلام بقهرهم؟ ألم يضيِّعوا كتاب الله بضياعهم؟ لأنهم فرطوا في الرسالة، فكانت القضية فعلاً بالغة الخطورة.

إذاً فانطلقوا من منطلق الحذر؛ لأن مسؤوليتكم كبيرة، وأن القضية خطيرة يجب أن تتقوا الله أبلغ درجات التقوى، أي أن تخافوه وتحذروه هو لن يسمح إطلاقاً.

د. الاعتصام بحبل الله وعدم التفرق

وقوله سبحانه وتعالى ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً﴾ يؤكد، عبارة: ﴿وَاعْتَصِمُوا﴾ فيها (واو الجماعة) الذي يوحي باعتصام الجميع، ثم ﴿جَمِيعاً﴾ تأكيد من جديد، ﴿وَلا تَفَرَّقُوا﴾ تأكيد من جديد بالنهي عن التفرق، ثلاث عبارات توحي بأهمية وحدة المسلمين، وحدة أيَّة أمة تتحرك في مواجهة أعداء الله، وحدة تقوم على أساس الاعتصام بحبله، واعتصام جماعي بحبله.

﴿وَاعْتَصِمُوا﴾ (واو الجماعة) يفيد اعتصاماً جماعيّاً ﴿بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُوا﴾ أليست هذه ثلاث عبارات؟ هذا التأكيد من قبل الله سبحانه وتعالى يوحي بل يدل بما لا غبار عليه أن هذه القضية لا بد منها لأيَّة أمة في أن يتحقق لها الاعتصام بحبل الله؛ فتكون في مستوى أن يسود فيها دين الله، وفي مستوى أن تواجه أعداء الله، لا بد أن تكون متوحدة. ونحن نلمس آثار التفرق في حياتنا، كيف تضيع كثير من قيم الدين في حياتنا، وليس شيء من أسباب ضياعها إلا تفرقنا، وتسود قيم فاسدة، ويسود ضلال، ويسود ظلم، وتحدث ظواهر كثيرة من الفساد والظلم، وليس هناك سبب صريح في سيادتها في أوساط المجتمع إلا تفرقنا، أليس هذا وارداً وحاصلاً؟

متى ما تفرقت قرية واحدة أمكن أن يظهر فيها فساد، وينتشر حتى يصل كل بيت فيها. لا بد من توحُّد الكلمة في ميدان مواجهة أعداء الله، ولا بد منه في

تطبيق دين الله في المجتمع، ولا بد منه في أن تبرز أنت كفرد ملتزماً بدين الله، ومتى ما حصلت فُرقة في الأمة ما الذي سيحصل؟ ستكون النتيجة أن هذا فاسد، وهذا مقصر، والجميع عند الله، يستوجبون غضبه، والجميع عند الله عاصون. من الذي يتصور أن يكون هناك مجتمع متفرق يمكن أن يكون متقياً لله كامل التقوى، لا يحصل هذا. أنت أقل أحوالك إذا لم تكن أنت فاسداً في حد ذاتك فأنت عنصر مساعد على الفساد وأن ينتشر في مجتمعك، لماذا؟ لسكوتك، ولتقصيرك، ولإهمالك، ولانزوائك بمفردك.

ولأهمية الموضوع كلنا نقول: "لو أن كلمتنا واحدة ما حصل كذا وكذا، ولو أن كلمتنا واحدة لَمَا انتشر الفساد في المنطقة الفلانية، ولو كلمتنا واحدة لَمَا كان مدرس أو مدير يلعب كيفما يشاء". وما الناس يقولون هذا، ويعرفون هذا؟ (لو أن الكلمة واحدة). كلمة من؟! الناس يقرون بأن تقصيرهم هم، وهم الذين لم ينطلق من جانبهم هذا العمل التخريبي، وهذا العمل الفاسد، يقرون بأن إهمالهم هو مما ساعد على انتشار الفساد، وظهور الفساد، وظهور الظلم، وغياب مبادئ الإسلام.

أي في الأخير لا أحد يستطيع أن يحكم لنفسه في مجتمع متفرق أنه ملتزم بدين الله؛ لأن أقل ما أنت عليه هو أنك مقصر، هو أنك لا تأمر بمعروف، ولا تنهى عن منكر، ولا تتعاون مع أخ على بر ولا تقوى، وأنك منزوي على نفسك، إذاً فأنت عامل مساعد على ظهور الفساد، وانتشار الفساد. والاعتصام الجماعي بحبل الله لا بد منه حتى بالنسبة لكل فرد في أن يصح أن يقال: إنه ملتزمٌ بدين الله، وإنه مُتَقٍ لله، وإنه مطيعٌ لله، ولا ينطلق أَحَدٌ من منطلق آخر.

هـ. أن يعد الناس ما استطاعوا في مواجهتهم

حالة العداء لليهود عندما قال سبحانه وتعالى عن اليهود: ﴿**لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا**﴾ (المائدة:٨٢) يريد منا أن نربي أنفسنا، وأن نربي أولادنا على أن يحملوا عداوة لأعداء الله لليهود والنصارى، وأن يحملوا عداوة. والعداوة في الإسلام إيجابية ومهمة، والعداوة إيجابية ومهمة، إذا كنت تحمل عداءً لأمريكا وإسرائيل، إذا كان الزعماء يحملون عداءً، والمسلمون يحملون عداءً حقيقيّاً؛ فإنهم سيعدون العدة ليكونوا بمستوى المواجهة، أما إذا لم يكن هناك عداءٌ حقيقيٌّ فإنهم لن يُعِدُّوا أيَّ شيء، ولن يكون لديهم أيُّ مانع من أن يتعاملوا مع اليهود والنصارى على أعلى مستوى، حتى إلى درجة الاتفاقيات للدفاع المشترك، والاتفاقيات الاقتصادية وغيرها؛ لأنه ليس هناك أي عداء.

أنت إذا لم تُكِنّ عداء لهذا أو لهذا لا تُعِد نفسك بمستوى المواجهة. فعندما قال الله سبحانه وتعالى: ﴿**وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ**﴾(الأنفال:٦٠) ألم يرسخ في نفوسنا أن أولئك أعداءٌ؟ يريد منا أن نحمل هذه الكلمة، وأن نرسخ الشعور بالعداء؛ لأن ذلك هو الذي سيحملنا على إعداد القوة، وعندما تتجه الأمة لإعداد القوة فستعد نفسها للمواجهة في مختلف المجالات، في المجالات الاقتصادية، وفي مجال التجارة، وفي مجال التصنيع في مجال الزراعة، وفي مختلف المجالات.

لكن هؤلاء لما عملوا على أن يمسحوا من الأمة، مشاعر العداء لليهود والنصارى.. أولئك لأنهم أعداء والعدو لا بد أن يعمل ضدك – كما أشار القرآن

- لا بد أن يعمل بكل جد، اتجهوا إلى أن يجعلوا حتى قوتنا تحت رحمتهم، وأذلونا وقهرونا إلى هذه الدرجة.

١٠. كيف نواجه الذين يواجهوننا من أهل الكتاب

لا بد أن يكون التحرك في مواجهة الذين يواجهوننا من أهل الكتاب وفق:

أ. التحرك على أساس القرآن الكريم

تأتي هذه الأحداث من خلال تحرك الأمريكيين، وتحرك الإسرائيليين، وتحرك دول الغرب هذه. من يتأملها بنظرة قرآنية لا يمكن أن يحصل لديه إحباط، ولا يحصل لديه يأس، بل يمكن أن يرى هذه الفترة من أفضل وأحسن الفترات بالنسبة للإسلام، لمن يعرفون كيف يتحركون في سبيل الإسلام فعلاً.

ومن لا ينظرون نظرة قرآنية، يجدوها فترة مظلمة، وفترة رهيبة. هي فعلاً رهيبة وخطيرة، لكن لمن لا يتحركون على هدي القرآن، فهي خطيرة ورهيبة فعلاً، هنا في الدنيا وفي الآخرة.

أما من يسيرون على هدي الله، وعلى هدي كتابه - وعلى حسب فهمنا وتقييمنا - فإنها من أفضل المراحل في تاريخ هذه الأمة، لمن يعملون في سبيل الله فقط، لمن يتحركون في سبيل الله، وعلى أساس كتابه.

وأنها يبدو ليست مرحلة من سنة، أو سنتين، بل ربما قد تكون من نحو عشر سنين تقريباً، بدأت متغيرات بشكل عجيب في هذه الدنيا. ولكن ما أسوأ حال من يعرضون عن كتاب الله، في مرحلة كهذه! وبدأت مؤشرات سوء الحال، وسوء المصير، عندما اتجه الأمريكيون للاستيلاء على صياغة المناهج، وإنزال المناهج التربوية، وحتى السيطرة على المساجد في معظم الدول العربية، ثم لا

تسمع كلمة، ولا تسمع أي ممانعة، ولا تسمع معارضة. هذه حالة خطيرة جدّاً على الناس.

قلنا أكثر من مرة: من أسوأ ما في هذه بالنسبة للناس أننا جئنا من جديد نمكِّن بني إسرائيل من كتابنا، ومن تثقيف أنفسنا، ومن تثقيف أولادنا؛ ليحرِّفوا، وليخفوا الكثير منه، وهم من قد نزع الله من بين أيديهم كتبه، ووراثة كتبه، وأنبيائه، فهل نمكنهم نحن؟!

هذا من أسوأ المواقف التي تدل على أن القرآن الكريم الذي يمجد الله نفسه، ويثني على نفسه بإنزاله إلينا: ﴿**الْحَمْدُ للهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ**﴾(الكهف:١) وإذا بالمسلمين اليوم يريدون أن يسلِّموا هذا الكتاب إلى بني إسرائيل، الذين قد حرَّفوا التوراة، والإنجيل؛ ليخفوا منه ما يريدون، ويجعلونه قراطيس يبدونها، ويخفون كثيراً.

ألسنا نسمع أخباراً بأنهم يريدون أن يخفوا آيات الجهاد، والآيات التي عن بني إسرائيل، وآيات أخرى، وهذا يعتبر من الكفر الرهيب، ومن الكفر الرهيب بهذه النعمة العظيمة التي أنعم الله بها على عباده: القرآن.

الأمريكيون متجهون لتغيير ثقافة هذه الأمة؛ ليبنوا جيلاً يتولاهم، ويحبهم، ويجلهم، ويمكنهم من الهيمنة عليه، بدلاً من أن يكونوا أولياء لله، ومحبين لله، وأن يمكِّنوا كتاب الله من أن يحكم عليهم. ويكون البديل هم اليهود، فهم يريدون هذا، يريدون الاحتلال لأفكارنا، ولنفوسنا، ولبلادنا، ولقيمنا، ولكل ما يربطنا بديننا.

هم يريدون هذا، وإلا لَمَا اتجهوا إلى المدارس الحكومية التي لا تخرِّج مناهجها ولا ملتزمين ببعض الأشياء، تحدثوا في أوساط الناس نحن نقول: إذا كنا أذكياء نعرف كيف نعمل فسننجح أمام أي قضية ينزلها الأمريكيون.

وإذا كنا أغبياء فسيقهروننا بغبائنا. وما تغلب علينا اليهود إلا لغبائنا، لأننا دائماً لا نهتدي بالقرآن. يؤكد على كل واحد أن يتحدث في هذه النقطة، وأن هذا يفضح الأمريكيين بأنهم قالوا: يريدون مكافحة الإرهاب فقط! وهم يريدون احتلالاً، وهيمنة، وحرباً للدين؛ وإلا لما اتجهوا إلى تغيير المناهج في المدارس الحكومية التي لا تخرِّج حتى ولا مصلين.

يرجى من كل شخص أن يتحرك فيه، وإذا كنا إلى درجة ألاَّ نتحدث عن النقاط المهمة فعلى الأقل نتوجه، ونتحدث بين كلامنا كمطلب، فلان طلب منا أن نقول: كذا، كذا، من بين الكلام الكثير الذي يتحدث به الناس.

نقول: الآن افتضح الأمريكيون، الذين قالوا إنهم لا يريدون إلا أن يحاربوا الإرهابيين! اتجهوا إلى المدارس الحكومية التي فيها مئات الآلاف من الطلاب، أي فيها جيل، وفيها شعب بأكمله. وفي يوم من الأيام يخرجون بثقافة أخرى.

يعني لسنا فاهمين إلى الآن أن هذا يعتبر فضيحة للأمريكيين؟! ما معنى فضيحة؟ يعني يفضح كلامهم: (بأنهم فقط يريدون أن يحاربوا الإرهابيين). وأنهم يريدون الاحتلال، وحرب الدين نفسه، وصياغة جيل يكونون عبيداً لهم، ويهيمنون عليهم كما يريدون، ويثقفونهم كما يريدون، وإلا لما اتجهوا إلى هذه المدارس الواسعة، وإلى المناهج، في مصر، والسعودية، وقطر، والبحرين، والكويت، والعراق، واليمن.

ب. الوعي واليقظة

﴿لا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انْظُرْنَا﴾(البقرة:١٠٤) كلمة بدلاً من كلمة ماذا تعني هذه؟ ماذا يعني: ألاَّ نتكلم بكلمة: ﴿رَاعِنَا﴾ نحن أهل المدينة وهي كلمة نحن نقولها ونتحدث بها نحن وأسلافنا من قبل ﴿رَاعِنَا﴾ ونحن لا نقولها بنية سيئة إذا كان يوجد يهودي هناك أو اثنان أو مجموعة يهود يستخدمونها بمعنى سيئ نحن نستخدمها استخداماً طبيعيّاً، أليس هذا شيئاً قد يكون مظنة أن يأتي عند الكثير؟ إذاً فموضع أن يؤتى بالقضايا التي هي دقيقة معرّضة لأن لا يشعر الكثير بأهميتها وهي في الوقت نفسه مهمة جدّاً أن تأتي في سياق كهذا.

فالموضوع عندما نقول: ننظر إلى موضوع السورة فليس معناه تسلسل الموضوع نفسه قد يكون الموضوع هو الشخصية وهو الإنسان قد يكون موضوع السورة هو أن يكون عندك دائرة أمامك هي دائرة اليهود ودائرة المؤمنين ودائرة البشر هذا هو الموضوع؛ لهذا قد ترى في مجمل هذه الآيات التي سمعناها أليست مواضيع متفرقة سمعناها؟ لكن تبدو انها تشكل نموذجاً من عدة مجالات وقضايا مهمة، تقدم هنا على أساس أن عندك من خلال ما قدّم لك عن بني إسرائيل ما يجعلك تتقبل، هي قضايا مهمة جدّاً في سياق الموضوع الذي هو الإنسان بشكل عام المؤمنون بما فيهم اليهود؛ لهذا ترى فيها خلطاً أيضاً في الحديث عن اليهود داخلها.

ج. فهم أهمية ما تعطيه ﴿لا تَقُولُوا رَاعِنَا﴾

إذاً ما هي الأهمية في قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انْظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾(البقرة:١٠٤) أعطاك صورة عن أمة

كيف أصبحت هي في نفسياتها، أصبحت نفوساً خبيثة وأصبحت تضيِّع قضايا مهمة جدّاً وأشياء مهمة جدّاً بالنسبة للبشر، ألم يأت بها بعد الحديث عن تعاملهم مع علوم؟ **﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ﴾ ثم قال: ﴿وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولاَ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ﴾**(البقرة:١٠٢) في عصر سليمان كانت هناك علوم عند وزراء وعند أشخاص آخرين وعنده هو، كانوا ينصرفون عنها ويسيرون ليبحثوا عند الشياطين، يتركون ذلك الشخص الذي قال: **﴿أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾**(النمل:٤٠) ويذهبون ليبحثوا وراء شياطين يعلمونهم السحر كيف يفرقون به بين المرء وزوجه!

د. الحذر والدقة في مواجهتهم

إذاً هذه الأمة خطيرة جدّاً معنى مجمل الموضوع: أمة خطيرة جدّاً أو طائفة من البشر الذين هم اليهود خطيرون جدّاً، ولا يزالون يعملون بهذه النفسية نفسها التي قدمناها لكم في هذه الآيات بالنفسية نفسها وبالروحية نفسها، إذاً فيجب أن تكونوا حذرين جدّاً ودقيقين جدّاً في التعامل معهم وتعطوا لكل قضية أهميتها في الصراع معهم.

هذه الآية تتحدث - كما يقولون - بأن اليهود كانوا يستخدمون كلمة: **﴿رَاعِنَا﴾** التي هي كلمة عربية معناها العربي معروف: أمهلنا أو أنظرنا، يستخدمونها بمعنى سيئ لديهم، سيئ في النفوس بمعنى: شرير أو من الرعونة التي تعني: السفه والحماقة والطيش، أي كلمة معناها في داخل النفس وليس في إطلاقها، ومعناها عند اليهودي سب للرسول (صلوات الله عليه وعلى آله).

هـ. لا بد أن تكونوا حذرين أمام الذي لا يزال نوايا في نفوسهم

إذاً هنا قضية يهودية ما زالت في الأعماق داخل اليهودي، يحارب بها النبي وهي ما زالت في داخله لم تظهر على لسانه ولم تتحرك بشكل موقف، وما زالت في الأعماق يجب أن تكونوا دقيقين في التعامل مع هذه الطائفة ليس فقط ما يبرز من اليهود، بل ما لا يزال في أعماق أنفسهم ونوايا لديهم.

﴿لاَ تَقُولُوا رَاعِنَا﴾(البقرة:١٠٤) توقفوا عن استخدام هذه الكلمة تماماً، عندما يتوقف العرب عن استخدام تلك الكلمة بشكل عام - اتركوها نهائيّاً - ليقفل المجال على اليهودي فلا يبقى بإمكانه أن يستخدمها، إذاً ألم يكن هذا موقفاً أمام نوايا وقدم التوجيه به توجيهاً حاسماً بعده ﴿وَاسْمَعُوا﴾(البقرة:١٠٤) واسمعوا، ويكفيكم أن تسمعوا، وقد سمعتم كيف كان الذين لا يستجيبون لهدي الله ولا يقيّمون الأشياء التي تقدّم إليهم، ولا تكونوا كبني إسرائيل تقولون: ما هي الفائدة؟ ماذا لها من فائدة ما هي القيمة لهذه؟ نحن لا نستخدمها خطأ؟ اسمعوا، والتزموا.

هـ. لا بد أن تعطوا القضية أهمية بالغة

وقوله سبحانه وتعالى ﴿وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾(البقرة:١٠٤) أي للرافضين للكافرين اليهود أنفسهم الذين لا يزالون يستخدمون نوايا سيئة وللرافضين منكم الذين لا يسمعون، اسمعوا: ﴿وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ منكم ومنهم، هذه تعطي - مع أنها تبدو في الصورة قضية بسيطة - ولكن تعطي منهجاً مهمّاً جدّاً في الصراع مع اليهود، أي هي ترسّخ عند المسلمين حالة على مستوى عالٍ من اليقظة

والحذر والانتباه واتخاذ موقف أمام أي شيء من اليهود وإن كان لا يزال نية في أعماق أنفسهم.

ز. من أين أُتِيَ العرب؟

من أين أُتِيَ العرب؟ من أين أُتِيَ المسلمون حتى أصبح اليهود هم الذين يدوسونهم الآن، لم يحملوا هذه الروحية التي تعطيها هذه الآية: ﴿**لاَ تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انْظُرْنَا وَاسْمَعُوا**﴾(البقرة:١٠٤) ولم يعد لديهم اهتمام حتى بما يشاهدونه وبما يلمسونه وبما يحسونه من اليهود ولم يعد لديهم اهتمام أن يعملوا ضدهم شيئاً، إذاً ألم يفقدوا روحية، فقدوا تربية وجهت إليها هذه الآية؟ إذا ترى بأنها قضية مهمة وهذا - مثلما قلنا سابقاً - من الأشياء الصعبة بالنسبة للناس القضايا التي هي في واقعها مهمة جدّاً جدّاً جدّاً، ولكن أمامهم طبيعية جدّاً، هذا الذي يعتبر موقفاً محرجاً جدّاً؛ ولهذا كانت هذه الآية في مقدمة الآيات التي جاءت لتوجيه المسلمين بعد تقديم العبرة الشاملة من خلال ما ذكره عن بني إسرائيل.

هذه النفسية هي التي أضاعت معنى: ﴿**لاَ تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انْظُرْنَا وَاسْمَعُوا**﴾ هي النفسية نفسها الموجودة الآن عندما نقول: "نرفع شعار يا جماعة، والشعار كلمة بسيطة تقولها في مسجدك الذي تصلي فيه الجمعة". يردون عليك: "ما هي الفائدة منها؟ ماذا يعني أن نرفع شعاراً؟" مع أنه مسلِّم بصحة مفرداتها يقول لك: "صحيح الله أكبر، وحقيقة أمريكا ملعونة، والموت لأمريكا" وسيقول لك أيضاً: "أمريكا ملعونة، وإسرائيل ملعونة، واليهود ملعونون، والنصر للإسلام، لكن ماذا هناك من فائدة؟ ماذا له من قيمة؟ هل هي ستؤثر على أمريكا هناك؟ هل، وهل، وهل...!" تلك النفسية السابقة لأن هذه بداية توجيه إلهي تربوي للمسلمين ليكونوا بمعزل عن روحية بني إسرائيل وروحية (البقرة)

ونفسية البقرة: ما هي، ما لونها، إن البقر تشابه علينا، الآن جئت بالحق، الآن..! لا، إن الإسلام وإن القرآن الكريم قام على أساس أن يقدم للمسلمين تربية على مستوى عالٍ جدّاً؛ فلا يكونون عرضة لأن يُضربوا ضربات متكررة حتى يصحوا ومتى ما صحا وجد نفسه في وضعية لا يتمكن أن يعمل شيئاً.

ح. لماذا لم يأت الخطاب لليهود

عندما يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انْظُرْنَا وَاسْمَعُوا﴾ (البقرة:١٠٤) لماذا لا يأتي الخطاب لليهود؟ يا أيها اليهود اسكتوا أو اتركوا استخدام هذه الكلمة؟ ((لأن مفتاح أن يضرك العدو، وأن يهينك العدو، وأن يهزمك العدو هو من عندك أنت)) ذلك عدو يهودي ونصراني كيفما كان إذا كنت مستقيماً تسير على هدي الله على كتاب الله فلن يضرك العدو وستهزمه مهما كان ﴿لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذىً وَإِنْ يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لا يُنْصَرُونَ﴾(آل عمران:١١١).

ط. مفتاح أن يضرك عدوك بيدك

هذه القضية في القرآن مؤكدة هنا توجه الخطاب إلى المؤمنين كلهم، الإمام علي بن أبي طالب ملزم هو أن يترك كلمة: ﴿رَاعِنَا﴾ وهل يمكن أن الإمام عليّاً سيستخدم كلمة: ﴿رَاعِنَا﴾ في المعنى اليهودي الذي يستخدمه اليهود؟ لأنه لا يمكن أن يقفل المجال على اليهود فلا يتمكنون أن ينطقوا بهذه الكلمة أي تحبط مؤامرتهم - اعتبرها أحبطت مؤامرتهم - إلا بأن تقفلوا أنتم هذا المجال من عندكم وإن كنتم لا تستخدمونها بالمعنى نفسه الذي يستخدمه اليهود، ((إقفال المجالات التي فيها ثغرات للأعداء تأتي من عند المؤمنين)).

ولهذا حاولنا أن نقدم هذه الآية فيما يتعلق بالجانب الأمني، عندما نقول: (نفتشك) أنت الأخ والصديق الموثوق به بنسبة ١٠٠٪ نفتشك، أو نقول تكون متيقظاً وتكون منتبهاً كل الإجراءات التي تمثل إقفال مجال يجب أن تكون أنت أول من يعملها، والمسألة هي إقفال مجالات وإقفال منافذ.

ي. القضية إقفال مجالات

إذاً فهذه القضية مهمة: إقفال المجالات يأتي من عند الناس هم، المخلصون والصادقون والمؤمنون بالقضية التي هم فيها لم يكن هناك مجال أن يقول الإمام علي مثلاً: لكن أنا سأستخدمها وليس عندي نية سيئة، والله المستعان لماذا توقفني؟ هل يعني أن لديك شكّاً فيَّ؟ هذا لم يحصل، هم فاهمون خاصة عندما تعطيهم صورة رهيبة جدّاً.

هذه الآية تعتبر شهادة فيما يتعلق بالمقاطعة الاقتصادية، ألم يحصل هنا مقاطعة للكلمة؟ قاطع المسلمون في أيام رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) كلمة؛ لأن استخدامها يمثل دعماً لليهود، إذاً فأنت قاطع بضائعهم؛ لأن بضائعهم تشكل دعماً ماديّاً كبيراً لهم، وتفتح عليك مجالاً لأن تتقبل كل ما يريدون أن يوصلوه إلى بدنك وإلى جسمك من سموم أو من أشياء لتعقيمك حتى لا تعود تنجب، أو تورث وعندك أمراضاً مستعصية، وأشياء كثيرة جدّاً، مع تقدمهم العلمي يعتبرون خطيرين جدّاً، وسيطرتهم على الشركات التي تعتبر متطورة في صناعات أشياء خطيرة من المواد السامة، وعناصر كثيرة تستخدم، قد أصبحوا يستخدمون عناصر تؤثر نفسيّاً وتقتل عندك الاهتمام، فتصبح إنساناً بارداً لا تهتم ولا تبالي.

ك. المبادرة والمسارعة والتعبئة العامة والحشد الجماهيري

أليس هذا مما يجعل الأمة في وضعية مختلفة عمَّا يريد الله لها في هذا القرآن الكريم أن تكون عليه في مواجهة اليهود؟ (حدثوا عن اليهود ولا حرج!) فكانوا يحدثون عن اليهود فملؤوا كتب التفسير بـ (الإسرائيليات) وبالقصص الغربية، ملؤوا كتب الحديث بالأحاديث الدخيلة التي صنعها يهود تمظهروا بالإسلام، واندسُّوا في أوساط المسلمين، ثم أصبحت هي من معتقدات المسلمين، ثم أصبحت هي تصنع رؤية المسلمين وتوجههم؛ لأنهم لم يرتبطوا بالرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) شخصيّاً، ولم يدرسوا حياته، ويتفهموا حياته كإنسانٍ حكيم وقدير وإنسانٍ كامل.

لو يرجع المسلمون في مواجهتهم للغرب ولليهود إلى (غزوة تبوك) وحدها في السيرة، وإلى (سورة التوبة) التي توجهت نحو هذه الغزوة لكانت وحدها كافية لأن يأخذ المسلمون منها دروساً كافية في معرفة مواجهة اليهود، ودول الغرب بكلها.

لم يستوحوا من موقف الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) في هذه الغزوة المهمة، التي أعطتها سورة التوبة أهمية كبرى، مع أنها في علم الله لن تحصل مواجهة، يستنفر كل المسلمين في هذه الغزوة حتى المنافقين يُستنفرون للخروج في هذه الغزوة مع علم الله بأنها لن تكون مواجهات. فيها دروس مهمة جدّاً. ومن أهم الدروس ما عمله الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله).

ل. استخدم الرسول في تبوك جانب المبادرة

في غزوة (تبوك) استخدم الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) هذا الجانب، جانب المبادرة، وكان جانب المبادرة هو الذي جعل الرومان - وهم أكثر قوة، وأكثر عدداً - يتراجعون، ويقررون عدم المواجهة مع رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله)؛ لأنه حرَّك الناس.

وعندما بلغه بأنهم قد تجمعوا في الشام، يريدون أن يهجموا على بلاد الإسلام حرَّك الأمة، والقرآن حرَّكهم أيضاً بآيات ساخنة، يخرجون حتى وإن كانوا (في وقت شدة)، ووقت قلة ثمر، أو الثمر ما قد حصل. ما قال ننتظر حتى ينضج التمر، و تحصل الثمار حتى يكون لدينا قدرة أن نمول نفوسنا ونخرج.

لا بد أن يخرجوا، وبادر هو بالزحف، وانطلق إلى تبوك، وبين تبوك وبين المدينة حوالي (٧٥٠ كيلومتراً)! يعني: دخل رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) إلى أقرب منطقة من المناطق في بلاد الشام، ومعه ثلاثون ألفاً، قد حشدهم من الناس.

وهكذا كانت سيرة النبي (صلوات الله عليه وعلى آله)؛ لأن رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) كان رجلاً قرآنيّاً، رجلاً يتحرك بحركة القرآن، ويجسد القرآن، ويفهم معاني القرآن، وغايات القرآن، ومقاصده، وأساليبه، ومنهجه.

م. عدم الرهان على جهات أجنبية

فالقرآن دفعهم دفعاً رهيباً في غزوة تبوك، مع أن الله يعلم أنهم لن يواجهوا بقتال، أخرجوا، حتى ثلاثة أشخاص وعندما تخلفوا ماذا كان موقف النبي (صلوات الله عليه وعلى آله) منهم؟ قال: لا تكلموهم.

كان استنفاراً عامّاً؛ لأن المسألة كان الجانب التربوي فيها للأمة أكثر من احتمال المواجهة العسكرية من خلال القرآن نفسه، فخرجوا متثاقلين، ووضع اقتصادي سيئ، ومعنويات هابطة جدّاً، وهم عدد قليل سيواجه أكثر من مائة ألف أو من مائة وثلاثين ألف جندي حشدتهم دولة الرومان. خرجوا بتثاقل، وتباطؤ ومعنويات هابطة وزحزحة. ما الذي حصل؟

ولم يحاول الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) أن يعود إلى دولة كسرى، أي دولة الفرس وهي كانت أيضاً الدولة العظمى الثانية في ذلك العصر ليستمد منها؛ لأنه سيواجه دولة كبرى، وهذه الدولة لا تزال في صراع مستمر مع دولة الفرس فتكون فرصة مهيأة له بأن يحصل على دعم من الفرس، من الأكاسرة فيشدوا أزره فيهاجم دولة الرومان، لم يحصل هذا، ولم يحاول، بل لم يفكر في هذا. أراد أن يربي هذه الأمة كيف تكون معتمدة على نفسها، وعلى ربها، وعلى كتابها، وعلى نبيها؛ لأنها تملك ديناً قيّماً يستطيع هذا الدين أن يجعلها تقف على قدميها دون أن تحتاج لا إلى شرق ولا إلى غرب، ولا إلى أمريكا ولا إلى روسيا، ولا إلى أطراف أخرى.

خرجوا متثاقلين، جمعوا نحو ثلاثين ألفاً بعد الحشد والاستنفار العام، والحشد الهائل والدفع الهائل، نحو ثلاثين ألفاً توجهوا على بعد سبعمائة وخمسين كيلومتراً من المدينة المنورة باتجاه الشام.

فبدا رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) شخصاً وكأنه - أمام الآخرين - لا يدري من سيواجه، إذاً أحشد هذا الحشد، لكن حاول أن تضع هذا الحشد في أماكن تحصن منه البلد الإسلامي الذي قد أصبح بين يديك، واتسعت رقعته بين يديك. وهو الذي هاجم وبادر بالهجوم ليهاجم بأولئك الجيش، أو بذلك العدد، ذو النفسيات الهابطة، والمعنويات المنحطة، على بعد، إلى أعماق، إلى أقرب منطقة للدولة الرومانية، إلى تبوك.

الروم أزعجهم هذا، فقرروا عدم المواجهة، ما الذي حصل؟ وتحرك رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) وهو لا يزال في تبوك، تحرك بسرايا هنا وسرايا هناك، وعمل أعمالاً يتحدى، فارتفعت معنويات الناس بشكل رهيب جدّاً، خرجوا وهم يرون الروم من المستحيل أن يواجهوهم.

بل كان المنافقون وبعض مَن تخلَّفوا من الأعراب قد تشجعوا إلى أن يدبروا مؤامرة ضد رسول الله في المدينة نفسها ليمسحوا الدولة الإسلامية بكلها؛ فترك لهم عليّاً، هو صمام الأمان للدولة الإسلامية سيبقى في المدينة بعده، وهو من يخرج إلى أقصى منطقة.

ن. العمل المنتظم والدقيق

قاعدة مهمة فيما يتعلق بالعمل في مواجهة اليهود، يجب أن يرتقي الناس فيه إلى انتظام دقيق، ما يسمح إطلاقاً بعمل عشوائي في مواجهة اليهود، وما يسمح بعمل عشوائي إطلاقاً، لا بد أن يكون عمل الناس منتظم، وحكيم، ودقيق، وفق توجيهات واحدة. اليهود أنفسهم على اختلاف البلدان التي يعيشون فيها حتى

اختلاف جنسياتهم أيضاً يسيرون بتوجيهات واحدة، وما غلبونا إلا لأنهم يسيرون وفق توجيهات واحدة.

إذا لم نكن في قضية مواجهة اليهود والنصارى نسير وفق توجيهات واحدة فسنكون فاشلين من أول خطوة بالتأكيد وليس فقط فاشلين بل سيشغِّلُك اليهود، وخطورة اليهود هي أنها ليست فقط أن يوقفوك عند أن تفشل بل يستطيعون أن يشغِّلوا الكثير ممن يحملون علماً، ممن هم طلاب علم، وممن هم مشائخ، وممن هم وجهاء في مناطق! وكلمة (لا شأنَ لنا) هي أيضاً من مظاهر العمل الذي يهيئ الساحة لانتشار ثقافة اليهود، وانتشار هيمنة اليهود.

١١. الخبرة الدينية لدى اليهود تجعلهم العدو الأخطر

يحرصون على أن يردوكم بعد إيمانكم كافرين، لماذا لا تتجه أذهانهم إلى مشاعر السيطرة وقهر الأمة واستعباد الأمة بعيداً عن مسألة التكفير والتضليل؟ وبعيداً عن مسألة أن يردونا عقائديّاً في أفكارنا في ثقافتنا في مواقفنا كافرين؟ أي هم يحرصون على أن يروك كافراً،

نحن قلنا: اليهود لديهم (خِبرَة دينية)، ماذا يعني خبرة دينية؟ هم يعرفون أن هذا الدين حق، ويعرفون أن المؤمنين متى ما أصبحوا مؤمنين لا يمكن أن يقهروهم، ولا يمكن أن يقهروهم أبداً متى ما أصبح الناس مؤمنين حقّاً. فمن منطلق البحث عن تَدْجِين الأمة وبتكلفة أقل، تصور قد يقال - بالعقلية العربية: (القهر بالدبابات والطائرات والقنابل النووية ما دام لدينا قنابل نووية فلندمر هذه الأمة).

وهم يفهمون حتى لو انطلقوا بهذا المنطلق، من منطلق القوة القاهرة والناس لا يزالون مؤمنين فلن يستطيعوا أيضاً أن يقهروا المؤمنين..

أ. هم يعرفون أن عنصر الإيمان الحقيقي هو الضمانة للنصر

اليهود هم مؤمنون بالله، وكان يأتي منهم أنبياء كثيرون، وكان يأتي منهم هداة، ويأتي منهم مصلحون، ولديهم (خِبرة دينية) ولديهم تاريخ آلاف السنين، عرفوا أحداثاً كثيرة في مقام الصراع فيما بينهم وبين الآخرين، كيف أن الإيمان كان هو العنصر المهم في أن تحظى تلك الفئة المؤمنة بنصر الله، ومتى ما حظيت بنصر الله وتأييده فلن يقهرها شيء. معروف أنه حصل درس لديهم في قصة (طالوت وجالوت) التي نقرؤها في القرآن: ﴿**كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ**﴾(البقرة:٢٥١) بإذن الله..

ب. عملوا على محاربة الإيمان المحمدي الأصيل

إذاً فكيف نعمل بالبشر حتى نقهرهم وخاصة هؤلاء المسلمين؟ أليسوا الآن يمتلكون (قنابل نووية) و(قنابل ذرية)؟ أليسوا هم من يمتلكون الصواريخ بعيدة المدى؟ أليسوا هم من يمتلكون الأسلحة الفتّاكة؟ ولكن هل فكروا في هذه الدَّمْدَمة؟ لا. يدمدموننا أولاً من الداخل فيفصلون فيما بيننا وبين الله، فمتى ما فصلوا فيما بيننا وبين الله وأصبحنا بعيدين عن أن نحظى بنصر الله... بل هم يفهمون بأنه من الممكن أيضاً أن يتحول الله إلى طرف آخر يضرب معهم هؤلاء - وهذا ما توحي به الآيات فعلاً - أنهم يضربون من جهة والله من جهة أخرى سيضرب أيضاً..

ج. يريدون إدخالنا في حرب مع اللّه

وهذا فعلاً ما سيحصل، فأولئك من منطلق العداوة، والله سبحانه وتعالى من منطلق الغضب على هؤلاء؛ لأنهم لم يكونوا جديرين بأن يحظوا بنصره، ولم يهتدوا بهداه، وهم برزوا في الساحة باسمه وممثلون كطرف عنه، أليسوا هم من يسمون أنفسهم جند الله؟ إذاً فأنتم سُبَّة إن لم تهتدوا بهديي، إن لم تلتزموا بنهجي وهديي فستصبحون جديرين بأن تُذلوا، فيتخلى عنا هو، بل يُذلنا بل يضربنا هو سبحانه وتعالى.

لأن المسؤولية علينا أكثر وموقفنا أيضاً بالنسبة للبشرية عامة هو أخطر. فالأمة العربية هذه لو نهضت إسلاميّاً على هدي الله، أما كان من الممكن أن تهتدي البشرية كلها على يديها؟ أما كان من الممكن أن يسود العالم كله دين الله؟ أما كان من الممكن أن يسود العربُ هذا العالم؟ أما كان من الممكن أن يسود الصلاح هذا العالم؟ فكل ما رأيناه في هذا العالم، فالعرب بتخليهم عن دين الله وعن هدي الله يمثلون عاملاً أساسيّاً فيه، وليس الآخرون فقط.

إذاً فأنت من أضعت، أنت - بانصرافك عن هديي وبانصرافك عن نهجي، وبانصرافك عن أعلام الدين - وأنت الذي أضعت ديني، وأضعت عبادي جميعاً؛ لأن الله سبحانه وتعالى يهمه أمر عباده جميعاً، ولكن - كما اقتضت سنته - عن طريق بعض عباده، إذا لم يتحمل هذا البعض المسؤولية فإنه هو من يجني على البشرية كاملة، وهذه حقيقة. أليس صحيحاً لو أن العرب هم من التزموا بالدين فإن الله قد وعد بأن يظهره على الدين كله؟ وأمرهم أن يقاتلوا حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله..

د. يعملون على أن يردوا الناس كافرين

قوله سبحانه وتعالى ﴿يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ﴾ يعني (عندما تصبح كافراً) يصبح من السهل على اليهود أن يضربوك؛ لأنهم قد فصلوك عن الله، وستكون في الوقت نفسه بدلاً من أن تكون محط عناية الله وتأييده تصبح محط ومحل غضب الله – ونعوذ بالله من غضبه – وإذلاله وتعذيبه.

هـ. من الوسائل الخطيرة حربهم للدين

قد نكون نحن المسلمين من أجهل الناس بديننا، ولكن الغريب في الموضوع أن أعداءنا هم من يفهمون عظمة ما لدينا من هذا الدين، لهذا تجد أنهم وهم أعداء لنا يتجهون إلى ضرب ديننا. أليس هذا ما نشاهده؟ حملات ضد القرآن الكريم، وحملات تشويهية ضد الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله)، وضد الإسلام، بصورة عامة، وعمل متواصل بكل الوسائل على إقصاء هذا الدين عن واقع الحياة، وعلى الفصل بيننا وبينه.

كل الحرب القائمة ضدنا تتوجه رأساً من جانبهم إلى الدين نفسه؛ لأنهم يعرفون لو اتجهوا إلى حربنا نحن كأشخاص، ولم يحاربوا ديننا فإنهم سيخسرون، ولن ينتصروا إطلاقاً، وأن كل موقف مهما بدا من جانبهم قويّاً وحادّاً وجادّاً سيكون الرد من جانبنا أكثر وأكثر، وسنستفيد من الصراع معهم أكثر وأكثر. إذا ما ظل ديننا سالماً لنا فلن يستطيعوا أبداً أن يقهرونا.

و. من عظمة الإسلام أنه يستفيد من الصراع مع أعدائه

أن هذا الدين نفسه إذا ما ظل سليماً يستطيع أن يستفيد من أعدائه، أن يجعل من يلتزمون به يقهرون أعداءهم، ويستفيدون من الصراع مع أعدائهم! ألم يقل

الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّاً مِّنَ الْمُجْرِمِينَ﴾(الفرقان:٣١) يبعث نبي من الأنبياء، ثم يكون هناك أعداء! هذه الآية عجيبة، قد يتصور أي واحد منا أنه كان من المفترض أن تزيح كل الأعداء من أمام هذا النبي الذي بعثته؛ ليتمكن من أن ينشر دعوته، فلا يواجه بصعوبات، فكيف قلت: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّاً مِّنَ الْمُجْرِمِينَ﴾؟ هل من أجل أن هذا العدو يقلق النبي ويزعجه؟!

الله يجل أنبياءه، والله سبحانه وتعالى يعظم أنبياءه، هل سيجعل عدوّاً يقلقه، ويزعجه، لمجرد الإقلاق والإزعاج؟

ز. ماذا يجعل اللّه لأنبيائه أعداء؟

فهذا يعني: إن هذا الدين لسموه، ولكماله، هو يحمل نفحة من مشرِّعه الذي قال عن نفسه إنه غالب على أمره، وهذا الدين كذلك إذا ما ظل سليماً لأمة تحمله فإنه سيكون غالباً لكل من يناوئه، ويغلب كل من يناوئه.

من الذي يمكن أن يجعل هذا العدو مصدر قوة لهذا الدين؟ ومصدر قوة لجَلَبة من يلتزمون بهذا الدين؟ هي الحكمة الإلهية التي ربما أي شيء آخر قد يبدو ضعيفاً أمام العدو، وهذا الصراع الطبيعي، أنَّ عدوّاً قد يقهر الطرف الآخر؛ لأنه برز أمامك عدوّاً أنت معرض لأن يقهرك مثلاً.

ولكن أما هذا الدين هو يتحدى إلى الدرجة التي يقول فيه: إنه هو يجعل أعداء في مواجهة الأنبياء؛ لأن الأنبياء أنفسهم، وهم يبلغون هذا الدين، وكذلك من يسير على دربهم، وهم يتحركون في سبيل إعلاء كلمة هذا الدين، ونشره، والدفاع عنه، والدعوة إليه، هم من سيستفيدون من الصراع، ويصقل مواهبهم، وينمي

قدراتهم، ويتجلى لهم عظمة هذا الدين كلما دخلوا في الصراع أكثر فأكثر. وهذا من الأشياء العجيبة.

ح. من يصارع من أجل الدين تجدهم أكثر الناس فهماً

فالناس الذين يصارعون من أجل هذا الدين تجدهم أكثر الناس فهماً له، وأكثر الناس معرفة بعظمته، وأكثر الناس إدراكاً لأهميته! هذا الشعور جاء من الصراع، كلما حصل صراع بدا الإسلام قويّاً، وكلما اكتشفوا جوانب مهمة فيه اكتشفوا طاقات هائلة داخله، واكتشفوا جوانب من عظمته غائبة عن الكثير ممن لا يصارع من أجله.

ط. وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا

ألم يقل الله سبحانه وتعالى: ﴿**وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ**﴾(العنكبوت:٦٩) تنكشف لهم أشياء كثيرة، يتجلى القرآن لهم بشكل أكثر مما يتجلى لآخرين قاعدين في بيوتهم أو في زوايا مساجدهم ﴿**وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ**﴾.

هذا ما يتميز به هذا الدين، وهذا ما يجعل الأعداء أنفسهم يعرفون عظمته فيتجهون أساساً لمحاولة ضربه، وهل يستطيعون أن يضربوه هو؟ لا، يضربونه في أنفسنا، ويضربونه في واقع حياتنا، وعندما نكون بسهولة قابلين لأن نتخلى عنه، ونبتعد عنه، ونبتعد من طريقهم وهم يتجهون إلينا، نفسح المجال لهم ليفسدوا كيفما يشاؤون، ويعيثون في الأرض فساداً.

ي. هم يعلمون أن عزتنا متوقفة على هذا الدين

لهذا نلاحظ دائماً أنهم لو كانوا يعلمون أن هذا الدين ليست عزتنا متوقفة عليه، ولا قوتنا مرتبطة به، وهو لا يمثل قوة لنا، وأنه لا يمثل عزة لنا، ولا علاقة له بوحدتنا، لَمَا بذلوا دولاراً واحداً في سبيل محاربته، ولا تجهوا إلينا شخصيّاً ليحاربونا بأيَّة طريقة، وتصفيات جسدية، ومحاربة شخصية هكذا، كما هو معروف في الصراع، لكنهم يعلمون على الرغم من أنهم يمتلكون أسلحة فتاكة، وأسلحة متطورة، وأن هذه الأسلحة لو توجَّه إلى مسلمين وملتزمين بإسلامهم، ويتحركون على أساس توجيهاته، وهديه، فإنهم سيكونون مهزومين أمامهم، مهما كانت قوتهم.

لذلك يسعون أولاً إلى نشر الفساد الأخلاقي، والفساد الثقافي، ونشر ما يخلق فرقة في أوساط الناس، وما يبعدهم عن دينهم، وما يشككهم في مبادئه، وما يشككهم في كتابه، وفي نبيه، وهكذا، وهكذا حتى يهيئونا لأن يضربونا بسهولة، ومتى ما ضربونا نكون قابلين لأن نهزم، وقابلين لأن نهزم أمامهم؛ لهذا تجد أن الإسلام هو الدين الوحيد في هذه المعمورة الذي يحاربه الأعداء من اليهود والنصارى.

ك. هم يعرفون أن القرآن هو الذي يصنع رجالاً يقفون في مواجهتهم

هناك ديانات قائمة لماذا لا يحاربونها؟ ديانات وثنية لا تزال قائمة يشجعونها، منها البوذية، وديانات أخرى لا تزال قائمة لا يوجهون حربهم إليها، بل يشجعون أصحابها على أن يبقوا على ما هم عليه، إلا الإسلام.

وهذا يعني أنهم يشعرون بعظمته ربما أكثر مما نشعر نحن؛ ولأنهم بعدائهم لنا دائمو التفكير، في أن يتعرفوا على ما هو مصدر قوة لنا، ومصدر عزة، ومصدر أن نكون قادرين على أن نهيمن عليهم، وعلى أن نقهرهم، وعلى... إلخ، فوجدوا أن المصدر هذا هو الدين.

ولهذا جاء تصريح قبل أسبوع من البيت الأبيض على موقع في الإنترنت: أن القرآن هو الكتاب المقدس للإرهابيين. أليست هذه عبارة عداء؟ في الوقت الذي هي عبارة تشهد بأن القرآن هو الذي يصنع رجالاً يقفون في مواجهتهم، وعبارة يقولوها من أجل أن يمهدوا لشرعية أن يضربوا القرآن، ومدارس قرآنية، وعلماء قرآن، وكل من له علاقة بالقرآن، ومناهج لا تزال فيها آيات قرآنية، تضرب كلها بحجة أن القرآن هو الكتاب المقدس للإرهابيين.

وفعلاً طلبوا من مصر تغيير آيات في المنهج الدراسي، ويعملون على أن يفرضوا على السعودية أن تغير المنهج الدراسي، وكذا الأردن، وهكذا يتجهون إلى بقية الدول العربية لتغير مناهجها التربوية، فتزيح آيات من القرآن الكريم.

لأنهم يفهمون أكثر مما نفهم! وأن حربهم تتركز على شيء واحد بشكل مكثف ومركز ضد القرآن الكريم، وبعده شخصية الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله)، وفي الوقت نفسه اللغة العربية.

ل. يستهدفون القرآن الكريم والرسول محمد واللغة العربية

هذه الثلاثة الأشياء هي التي يركزون على حربها: القرآن الكريم رقم واحد في الموضوع، لا يحاولون أن يحاربوا أشياء أخرى، ومظاهر أخرى، ومساجد كثيرة تُبنى، وأشياء كثيرة، علماء كثيرون مختلفون، يعتبرون هذا يساعد على خلق فُرقة في

أوساط الناس، ومذاهب متعددة. هل يقولون: هؤلاء المسلمون مذاهب كثيرة نحاول أن ننقصهم حتى يصبحوا مذهباً واحداً؟ هل عندهم هذه الفكرة؟ هم يرون بأن هذا يساعد أفضل، تتوسع مذاهب، وعلماء كثيرون ينتشرون ومختلفين، وتكون الساحة كلها ساحة قلقة.

لو فهموا أن القرآن الكريم كتابٌ يمكن أن يخلق آراء متعددة، وأفكار متباينة، وأقوال متضاربة، لَمَا تعرَّضوا له إطلاقاً، هم لا يتعرضون لكتب الحديث، بل يخدمونها، فيأتي مستشرقون يضعون فهارس للحديث، كتاب واحد يسهل لك الرجوع إلى أي حديث تبحث عنه، في أي من أمهات، ومسانيد، ومجاميع الحديث، يخدمونها خدمة.

م. يعملون على نشر الأخطاء الثقافية ونشر المذاهب

وتعدد الطوائف يخدمها أيضاً! هم الذين صنعوا طوائف إسلامية خلال المائة السنة الماضية، والمائتي السنة الماضية، صنعوا طوائف جديدة كالوهابية، والبهائية، والقاديانية، جعلوها طوائف إسلامية.

فهم يحاربون القرآن لأنهم يعرفون أنه هو وحده الذي يستطيع أن يبني أمة واحدة، وهو الذي يستطيع أن يبني أمة قوية، وأن لغته اللغة العربية التي هي أساس من أسس فهمه يجب أن تُحارَب، ويجب أنْ تُقصى، وأنْ تعمم بدلاً منها اللغة الإنجليزية، وأن نترك الشباب يشعرون بإعجاب وبعظمة عندما يتعلمون اللغة الإنجليزية.

انها حرب شعواء ضد اللغة العربية؛ لأنها لغة القرآن الكريم، وأن الله سبحانه وتعالى قال: ﴿**بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ**﴾(الشعراء:١٩٥) ﴿**قُرْآناً عَرَبِيّاً**﴾(يوسف:٢) أكثر من ثلاث آيات تحدث الله عن القرآن أنه عربي، وباللغة العربية، وبلسان العرب.

هناك فنون أخرى لا يتعرضون لها، فنون أخرى مما يقطع الكثير منا أوقاتهم وهم منهمكون في دراستها لا يتعرَّضون لها، حتى وإن كانت باسم علوم إسلامية، حتى وإن قدمت في أوساطنا بأنها من آليات فهم القرآن الكريم، ومن آليات استنباط الأحكام الشرعية، لا يتعرَّضون لها، ويرون أنها تخدم القضية.

أمَّا القرآن الكريم، فهم يعلمون أنه كتاب يستطيع أن يصنع أمة واحدة، وأن من يلتفون حوله لن يفترقوا، ولن يختلفوا، وسيكونون كما قال الله: معتصمين بحبل واحد، عندما قال: ﴿**وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُواْ**﴾(آل عمران:١٠٣) لذلك ركزوا حربهم على القرآن الكريم.

الخاتمة

القرآن الكريم قدَّم لنا صورة كاملة عن بني إسرائيل، عن أهل الكتاب بشكل نقول: - فعلاً - بشعين، وأصحاب قلوب قاسية، ونفوس خبيثة، ومع ذلك رأينا كيف أنه استثنى فئات منهم في تاريخهم الماضي، وأثنى عليهم، وقدَّمهم كنموذج لمن اهتدوا بهديه، وأن أولئك - وهم أكثرهم - ما صاروا إلى ما صاروا إليه، وأصبحت حالتهم كما قدمها لنا إلا بسبب إعراضهم عن هدي الله.

كشف القرآن الكريم لنا نواياهم، وأوضحهم لنا بشكل يعطي رؤية متكاملة في التعامل معهم، حيث يرى الإنسان بأنه لا يمكن فعلاً أن يكون هناك أمة على هذا النحو من الفظاعة، وعلى هذا النحو من الخبث، ويمثلون كتلاً من الحقد، والعداء للبشر، وبجرأة حتى على الله سبحانه وتعالى، أنه فعلاً بمقدار ما رأيناهم على هذا النحو، بمقدار ما أوضح خطورتهم الكبيرة، ولنعرف في الوقت نفسه سوء تقصير الناس في مواجهتهم، وهم يرونهم - فعلاً - على ما حكى القرآن عنهم.

ليس باستطاعة أحد أن يقول: إن أهل الكتاب في هذا العصر كشفوا أنفسهم، أو رأينا من خلال أعمالهم ما يدل على أنهم بعيدون عمَّا حكى القرآن عنهم، في أعمالهم، وفي حركاتهم، وفي تخطيطهم، وفي ممارساتهم، وفي إعلامهم، وفي سياستهم، وفي اقتصادهم، وجدناهم فعلاً يشهدون على أنفسهم بأن ما قال الله عنهم في القرآن هو حقيقة لا مِرْيَة فيها، ولا شك فيها. إذاً فكيف ستكون جريمة من يبتعدون عن التفكير بالعمل في مواجهتهم، وفي دفع شرهم، وكيف ستكون جريمة من قد ينطلق ليسارع فيهم، كما حكى الله في الآيات السابقة التي سمعناها في .

***

الفهرس

المقدمة ٣

التشخيص القرآني لأهل الكتاب ٧

١. من هم أهل الكتاب؟ ٨
٢. كيف نقرأ تاريخ أهل الكتاب ٩
٣. تنوَّع حديث القرآن الكريم عن بني إسرائيل ٩
٤. تعامل أهل الكتاب مع ما جاء به أنبياؤهم ١١
٥. نتيجة إعراض بني اسرائيل عن هدي الله ١١
فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين ١٢
٦. ثقافة الكفر تصنع مواقف أهل الكتاب ١٣
مقولات غريبة هي نتيجة ابتعادهم عن هدى الله ١٤
٧. قدم أهل الكتاب الدين باسم قوميتهم: (يهودية نصرانية) ١٦
أ. قدموا عنواناً للدين مختلفاً تماماً ٢١
ب. لا يوجد ما يسمى ديانات سماوية ٢٢
٨. حقيقة بني اسرائيل من خلال قصة ذبح بقرة ٢٤
أ. أخذ ورد في ذبح بقرة ٢٦
ب. لم يقدِّروا موسى (عليه السلام) حق قدره ٢٧
٩. كيف يربي الأنبياء أممهم؟ ٢٨
أ. عندما يصبح الناس بقراً تشتبه الأمور عليهم ٢٨
ب. هنا يوجد مؤشر خطير ٢٩
١٠. تعاملهم مع أنبياء الله وكتبه ٣١
أ. صورة من صور تعاملهم مع كتب الله ٣١
ب. التحريف لكلام الله ٣٣
ج. وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا ٣٣
د. لا يوجد فيهم طمع أو أمل أن يؤمنوا ٣٤
هـ. يؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعض ٣٥
كيف عرض القرآن الكريم النفسية اليهودية ٣٥
أ. ضربت عليهم الذلة والمسكنة ٣٧
ب. أشد الناس عداوة لنا ٣٧
ج. لن يضروكم إلا أذى ٣٨

د. ضعاف في المواجهة ٣٨
هل يود أهل الكتاب الخير للمسلمين.. ٣٩
أ. هذه الآية كشفت لنا النفسية اليهودية ٣٩
ب. القرآن يعطي رؤية فيما يتعلق بما يأتي من جانبهم.. ٤٠
ج. ما هو المكسب الكبير الذي يريد أن يحققه الأمريكيون ٤١
د. كل ما يقولونه مجرد خداع ٤٢

وسائل بني اسرائيل الخبيثة في استهداف الأمة.. ٤٤

١. خطورة بني إسرائيل.. ٤٤
أ. لبس الحق بالباطل ٤٥
ب. ودهم الشديد أن نكفر بعد الإيمان ٤٦
ج. يريدون أن نضل السبيل.. ٤٧
د. يصرفون الناس عن تاريخهم الحضاري ٤٨
٢. نشر أهل الكتاب الكفر والضلال والرِّبا وفساد الاخلاق.. ٥٠
أ. تَبْغُونَهَا عِوَجاً.. ٥١
ب. يعملون على نشر الكفر.. ٥١
ج. نشر الفساد الأخلاقي.. ٥٢
٣.تركيز اليهود على الجانب الأخلاقي من خلال المرأة ٥٢
سياسة التضليل ٥٣
٤.اتباع سياسة التطويع والتفريق ٥٤
أ. يعملون على إبعاد الناس عن أخلاق دينهم ٥٦
ب. ويسعون في الأرض فساداً ٥٦

مجالات الصراع مع أهل الكتاب ٥٧

١.وجوب وقوف المسلمين الموقف القرآني من أهل الكتاب.. ٥٨
أ. عندما يثق الناس بالله فلن يستطيع اليهود أن يخدعوهم.. ٥٨
ب. أمثلة على أنهم لا يودون لنا أي خير ٥٩
٢.الإسلام يريد لأتباعه التفوق على غيرهم.. ٦٠
أ. هذه تعطينا رؤية تجعل كل إنسان حذراً ٦١
ب. الآية تعطي رؤية مستقبلية ٦٣
ج. الاهتمام لدى الإسرائيليين.. ٦٣
٣. يود كثير من أهل الكتاب أن يضلوا المؤمنين ٦٤
أ. يشترون الضلالة ويريدون أن تضلوا ٦٥
ب. هم يريدون والإنسان الذي يريد سيفعل ما يتمكن من تنفيذه.. ٦٦
ج. لا بد أن يشعرهم المؤمنون بأنهم أذكياء ٦٧

د. قدم في القرآن كيف يكون موضوع الضلال ٦٧
هـ. وكفى بالله وليّاً وكفى بالله نصيراً ٦٨
٤. يؤمن أهل الكتاب بالجبت والطواغيت ٦٩
أ. يقفون في صف الطواغيت ٧٠
ب. يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ٧١
٥. بنو اسرائيل يتصفون بالقسوة ٧٣
قلوبهم صارت أقسى من الحجارة ٧٣
٦. يشكل اليهود خطورة كبيرة على الحضارة القائمة ٧٤
أ. ما نراه اليوم من اليهود ليس جديداً ٧٧
ب. لماذا هم أحرص الناس على حياة؟ ٧٨
ج. ولن يتمنوه أبداً بما قدمت أيديهم ٧٩
٤. آثار الضلال على الانسان ٨٠
أ. هذا دليل على أن القرآن من عند الله ٨١
ب. هم متشبثون بالحياة الدنيا ٨١
٨. الصراع مع أهل الكتاب حضاري- ثقافي-اقتصادي- اعلامي ٨٢
أ. الصراع الثقافي ٨٣
يعملون على نشر الأخطاء الثقافية ونشر المذاهب ٨٣
ب. حتى الجانب الإعلامي لم يفعّل لترسيخ حالة العداء ٨٤
ج. حكومات العرب غبية ٨٦
د. الاهتمام بالجانب الاقتصادي ٨٧
هـ. من أخطر وسائل الحرب لديهم هي الحرب النفسية ٨٨
هـ. لن يصرع اليهود إلا الإسلام الحقيقي ٨٩
٩. أرشد الله سبحانه وتعالى الأمة إلى حلول في مواجهته ٩٠
أ. مما أرشد الله إليه ٩٢
تصحيح ثقافتنا خصوصاً ما يتعلق بمعرفتنا بالله وبرسوله وكتابه ٩٢
ب. الاعتصام بالله والثقة به ٩٥
ج. تقوى الله حق تقاته ٩٥
د. الاعتصام بحبل الله وعدم التفرق ٩٧
هـ. أن يعد الناس ما استطاعوا في مواجهتهم ٩٩
١٠. كيف نواجه الذين يواجهوننا من أهل الكتاب ١٠٠
أ. التحرك على أساس القرآن الكريم ١٠٠
ب. الوعي واليقظة ١٠٣
ج. فهم أهمية ما تعطيه (لا تَقُولُوا رَاعِنَا) ١٠٣
د. الحذر والدقة في مواجهتهم ١٠٤
هـ. لا بد أن تكونوا حذرين أمام الذي لا يزال نوايا في نفوسهم ١٠٥

هـ. لا بد أن تعطوا القضية أهمية بالغة ١٠٥
ز. من أين أُتِيَ العرب؟ ١٠٦
ح. لماذا لم يأت الخطاب لليهود ١٠٧
ط. مفتاح أن يضرك عدوك بيدك ١٠٧
ي. القضية إقفال مجالات ١٠٨
ك. المبادرة والمسارعة والتعبئة العامة والحشد الجماهيري ١٠٩
ل. استخدم الرسول في تبوك جانب المبادرة ١١٠
م. عدم الرهان على جهات أجنبية ١١١
ن. العمل المنتظم والدقيق ١١٢
١١. الخبرة الدينية لدى اليهود تجعلهم العدو الأخطر ١١٣
أ. هم يعرفون أن عنصر الإيمان الحقيقي هو الضمانة للنصر ١١٤
ب. عملوا على محاربة الإيمان المحمدي الأصيل ١١٤
ج. يريدون إدخالنا في حرب مع الله ١١٥
د. يعملون على أن يردوا الناس كافرين ١١٦
هـ. من الوسائل الخطيرة حربهم للدين ١١٦
و. من عظمة الإسلام أنه يستفيد من الصراع مع أعدائه ١١٦
ز. ماذا يجعل الله لأنبيائه أعداء؟ ١١٧
ح. من يصارع من أجل الدين تجدهم أكثر الناس فهماً ١١٨
ط. وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ١١٨
ي. هم يعلمون أن عزتنا متوقفة على هذا الدين ١١٩
ك. هم يعرفون أن القرآن هو الذي يصنع رجالاً يقفون في مواجهتهم ١١٩
ل. يستهدفون القرآن الكريم والرسول محمد واللغة العربية ١٢٠
م. يعملون على نشر الأخطاء الثقافية ونشر المذاهب ١٢١

الخاتمة **١٢٣**

الفهرس **١٢٤**